

الطبعة الثانية

فريدريك نيتشه

عدو المسيح

ترجمة: جورج ميخائيل ديب



مقدمة من المترجم

أتعلم من الكثيرين ولكن لا أثق بأحد.

إنني وإن كنت اليوم ما أزال أعدّ نيتشه أجراً ذهنية وجدت على الأرض، وأقوى عقلية فيض لنا أن نسمع صوتها، فإن ذلك ليس عن اختيار محض فلسفي أو ذاتي. إنه ناتج تقديري لداروين وعلماء الطبيعة والفلك قبله وبعده. ولكن أليس انحيازاً، هنا أو هناك، لرجل؟ الأمر مختلف جداً. حين تؤمن بمؤسس مذهب أو فلسفة فهذا أمرٌ يتعلق بمنحى، بتوجه، بمقولة ذلك الرجل ذاته، أما مع العلم، فإن الرجل ليس غير مكتشف، لا صاحب نظرية أو مذهب عقيدي. داروين ليس غير اسم لتعيين



حالة طبيعية هو اكتشافها. لسنا نؤمن به بل بالحقائق الطبيعية [ومن المؤسف أن تُسمّى إلى اليوم نظرية داروين!].

الوجهة الفلسفية للمرء — روحانية أو عقلانية — تحدّد الفيلسوف أو الفلاسفة الذين يعدّهم الأفضل. بارتلمي سانتهلر ليس صدفة، إذ يقدر أفلاطون ككبير فلاسفة اليونان، أن يقدر "كانط" حديثاً بوصفه أفلاطون الفلاسفة المحدثين! إنّه التوجّه الروحيّ مهما اتّخذ من شكل.

أقول إذاً، إنني وإن كنت أعدّ نيتشه أقوى تعبير عن الفكر الحرّ — اللاديني والمناهض للميتافيزيقيا والمحبّ للأرض — فإنني منذ سنين قليلة قد ألقيت ثقله عن ظهري كعقالية صائبة بالكلية وبغير أخطاء.

صباح يوم من أيام مايو، السنة الأخيرة من الألفية السالفة بحسب التقويم الزائف — بتعبير نيتشه الرائع نفسه — وأنا أنظر من نافذتي إلى الجبال المحيطة بكاراكس وكلّها خضراء وأعاليتها محجوب بالضباب، متأملاً في الطبيعة والمدنية وتطوّر الإنسان، تبدّى لي أن إنسان نيتشه أقرب إلى الإنسان الحربي منه إلى الإنسان العقلاني. سوف تلاحظ ذلك بقوة في الفصول الأولى من هذا الكتاب.

فكيف — كنت أسأل نفسي — كيف أمكن للإنسان المتفوق أن يكون قد ظهر — وإن في لمحات في الماضي — ونحن نعرف أننا إلى اليوم لم نزل نشكو من وهن معرفي، ليس بمكتمل النكون؟ الإنسان الراقي ليس طفرة أو ضربة حظ، بل مرتين بدرجة تطوّر المجتمع.

نفهم في العمق هذا الإنسان ومقصد نيتشه منه: قويّ جريء ليس بهيباب، محبّ للحياة، كأنه من أتباع ديونيس وغير مسيحيّ بالمرّة — وهذا الضعف المسيحي هو الأمر المهمّ الذي دفع بنيتشه إلى هذا التطرّف مع إنسانه المتفوق — أجل غير مسيحي بالمرّة، ليس بمشفق ولا شاندالا، وليس في صفّ الواهنيين والعجزة ونعجات القطعان.

يكره نيتشه حضارتنا الحديثة الرعاعية، وكثيراً ما يذمّ العلماء (انظر ما وراء الخير والشر، وزرادشت) بينما حضارتنا الحديثة بعلموها واكتشافاتها هي بذاتها من هيأ له في الأساس، وعبر ديمقراطيتها، أن يعلن ((أن الله قد مات)). لقد كان هو المعبر الاسميّ لما قرّره علم الفلك قبله — مثلاً لابلاس مع بونابرت — وقرّره وولاس وداروين.

يتطوّر الإنسان ليكون قوياً بطريقة أروع (فإنّ ما صدق لقرون خالية بما قرّره ابن خلدون قد سقط الآن، والمدنية تتيح

القوة بطريقة تختلف عما كانت تصيب به القدماء من وهن جسدي، فالمعركة اليوم معركة ذكاء لا جسد) يتطور ليكون لا مسيحياً، بعلومه ورأساليته وتثمينه للأرض، دون أن يكون نسخة عن وثنيين شرفاء. فالتاريخ لا يعيد نفسه.

الإنسان المتفوق ربما يكون غداً، كما ندلّ منظورات علمية مستقبلية كثيرة، لا بيولوجياً جينياً فقط، بل سيلكونياً، وبديل سيلكون آتٍ.. سوف لن تكرر أبدع الصفات المنتخبة في أفراد معذلين، ومن جهة الجسد فحسب، بل وكذلك الصفات العقلية مدعمة بقدرة كمبيوترية! الإنسان القادم سيحوي صفات الغابة والمدنية، صفات الجسد الرائع والرقى الدساغي.. في الجنس والجمال والذهن. والعقل في ذلك كله هو الأساس، لكن مع تخوف دائم من حشوه بحر افاننا الحالية وبالأخص الدينية.

لكن النقطة المهمة أن نيتشه يفقد حوله النبالة، ويشكي من الرعاعية وعدم وجود النظام التراتبي الذي يعده طبيعياً. ولأجل ذلك يستدح قانون مانو وتراثية الهند إلى حد يجعله يقرر أن الطبقة ليست اختياراً بل طبيعة، وهو في هذا يغالي أكثر من أفلاطون حين يتحدث عن عزوق الذهب والنحاس في جمهوريته.

مع ذلك لا يمكن لنظام النبالة والتفوق والتفريق أن يندثر، فالنوع الأرقى من الديمقراطية يتيح الفرص للتباين والتفوق. وعلى نطاق كبير فإننا نلاحظ اليوم طبقات أممية: عالم أول وعالم ثالث، وربما دول شانдалا ومنبوذين. إن سقوط الشيوعية له دلالة هنا.

شيء في نيتشه اسميه الاندفاع العاطفية.

مثلها من أوقعه في هوة العود الأبدي الموجود عند اليونان وكذلك عند الطاوية.

وإننا نعلم اليوم أن الكون دائم التمدد وليس ثمة انكماش.

ومثل هذه الاندفاع العاطفية هو ما دفعه إلى موقفه الذي يفهم من خلاله يسوع بوصفه مثال المحبة والرافة والمسامحة خالصة.

لقد كنت وضعت في هذا الكتاب هوامش كثيرة تمثل ردوداً على آراء عديدة فيه، ثم ألغيتها مستعياً عنها بإشارات قليلة في هذه المقدمة. إذ بدت لي طريقة الرد على الكاتب في الهوامش طريقة أبعد ما تكون عن الذوق، وتحيل كتابه إلى

نقاش فلا يبقى طرْحاً. إنها تقحم ذاتاً أخرى متطفلة في مملكة الكاتب نفسه وتجعل من كتابه ساحة تنازع، فتعكّر تسلسله وخصوصيته الأصليين.

وإذا تجاه يسوع أقول هنا إن فهم نيتشه له هو فهم تعسفي، لا يقرأ الأناجيل كفاية ليجد يسوع التاريخي. في النبذة 32 مثلاً يذكر عن يسوع عبارات هي في التحليل النقدي منحولة.

لقد اقتضاني البحث عن حقيقة يسوع سنوات وفي يدي الآن مخطوط عن ذلك، خلاصته أن يسوع داعية يهودي بامتياز، وحتى وصفه الكنعانيين بأنهم كلاب ولو عددته منحولاً عليه فإنه يعبر عنه، بينما المناقض بإرسالهم إلى الأمم هو معاً منحول ولا يعبر عنه. ولا ننس طلبه من تلاميذه اقتناء السيوف وتأكدته من وجود بعضها معهم، وكذلك يأسه المريع على الصليب وإدراكه أنه قد انتهى وأن الله قد تركه، وقبله تخفيه الدائم الذي هو علامة مميزة كخط أحمر في الأناجيل، واختبأؤه في جبل الزيتون قبيل القبض عليه، مع طلبه من تلاميذه أن يبقوا مستيقظين ويحرسوه.

كل ذلك محور طبعاً ومبطّن بدلالة دينية مجتنبّة، لكن من يعرف القراءة على النمط الذي يطلبه نيتشه نفسه فإن الأمر واضح.

اندفاع نيتشه الحماسي دفعه كذلك إلى تكريم قانون مانو، والإسلام من خلال الإعجاب بملح أرضي فيهما. وعندما يقول في النبذة 60 أن العالم الرائع للأندلسيين قد غمر فخرمت منه أوروبا، يتجاهل أن ذلك الغمر كان في اندفاع الأوروبيين إلى الكشوف والفتوحات والنهضة، ممّا عُدّ في خلاصته تحرراً من المسيحية وانتهاء للعصور الوسطى، التي هي عصور المسيحية في الغرب.

إنما إذا انتقلنا الآن إلى صميم فكرته: فإنه ضدّ هذه الكهنوتية اليهودية الماورائية الضاغنة على النبالة والتفوق. إنها فكرة نبيلة ما تزال حاضرة الصوت إلى اليوم، وبقوة. وإنها دعوة إلى محبة الأرض، ودعم كل قويّ وعزوم ونير في الحياة... وكره كل ما هو كهنوتي وطقوسي وروحاني. فيا للجوّ النقي الذي أحبيته دوماً، حيث لا انفصام ولا تمزق بين عالمين.

أنا واحد من هؤلاء الذين كان يتطلّع إليهم دوماً، والذين يقول عنهم في المقدمة من هذا الكتاب، إنهم الذين سيفهمون زرادشت، أولئك المولودون فيما بعد؟

إذ كنت أظنّ ذلك فإنني بالتالي أتساءل هل نحن كثيرٌ، وبالأخص في هذه المنطقة من العالم؟ أخشى الجواب بلا. فوق ذلك، وبفضل نيّته وعلماء الطبيعة والفلك، وكما هو مفهوم بل مرجوٌ تاريخياً وحضارياً، نحن اليوم وفي أمور تفصيلية كثيرة نتجاوز نيّته.

لكن لماذا أترجم هذا الكتاب؟ لأنّ الكثيرين — والعدد الأكبر بحسب تعبير نيّته — لم يزالوا يعيشون في الزمن الذهني السابق عليه، بل البعيد جداً عنه إلى الوراء.

لا لأولئك الصرحاء المقدامين الناظرين بإخلاص تام إلى الأمام أقدم هذا الكتاب، فهو لاء قد صاروا بغنيّة عنه، بل إلى أولئك المتردّدين، وأولئك الناظرين إلى الوراء حيث يظنون العصر الذهبي مع أسلافهم ودعاة معتقداتهم.

يعيش الكثيرون في تناقض آخر غير المادي والروحي، هو الحاضر والماضي، هؤلاء يمشون متراجعين ويظهرون المستقبل!

لو كان الأمر أمر نقض للمسيحية فحسب، لما كان بالغ الجدوى نشر هذا الكتاب وفي بلاد عموم ساكنها مسلم. لكن من

ورائه أريد أن أضع بين يديّ القارئ، وليس فقط بين يديه، بل في عقله إن أمكنه، منحنى مختلفاً في الرؤية التاريخية يقدمه فيلسوف كبير، كما أريد أن أوضح أنّ تقدم الغرب قد أتيح — وعُبر عنه معاً — بأمور كثيرة منها إتاحة المجال للراء العقلية وإفساح المدى الواسع للنقد الديني وفصل الدين عن الدولة. ثم إنّ نقد نيّته للمسيحية يقوم على نقد اليهودية بالذات.

قد يقال إنّ المسيحية تحمل إمكانية من المرونة أكثر ممّا في الإسلام كونها ليست شريعة، وقد يكون هذا نظرياً فيه شيء من الصواب، لكن لا أحد يحدثني عن الواقع. فإنّ كلّ ديانة واحدة هي تعصب لإيمان، ولا ننس محاكم التفتيش وقتل برونو ومحاكمة غاليليو والعنف الديني في فرنسا وبريطانيا لما بدا أنّ الكنيسة في الواقع تتعرض للهجوم.

لقد كانت المسيحية عقبة بدورها، وتقدّم أوروبا بدءاً من عصر النهضة يتماهى مع تفهّر المسيحية.

لعلّ أقدمية المسيحية على الإسلام بست مئة سنة، أهرمها، ومكّن منها أوروبا. ولكن ما أعرفه أنّ هذا المنحى عبثي، فنشوء واضمحلال ديانة يتعلّق بالمجتمع وتطوّره وبشبابه أو هرمه. فهل نستفيد من التراث النقدي تجاه المسيحية؟

إن كل امرئ يحب ولده بأكثر من محبته لأبيه، لأنه المستقبل، وجلّ ما أخشاه هنا، وفي هذه القضايا البالغة الوسع والأهمية، أن نفعل العكس.

فيما يختص بالترجمة فقد ترجمت هذا الكتاب عن ثلاث ترجمات مختلفة للكتاب باللغة الإسبانية. وكنت ملتزماً للتدقيق البالغ بمقابلة كل عبارة على النسخ الثلاث.

وأما الهوامش فهي فقط تفسيرية للمساعدة على جلاء النص. علامة [P] تدل على هوامش الترجمة الإسبانية الصادرة عن Panamericana في بوليفيا، ترجمة مارتا ميزاروس وتقديم وهوامش رافائيل جيراردوت، وهي طبعة غنية بالمعلومات والصور.

أما بقية الهوامش فهي لي. مع الإشارة إلى أن نيتشه لم يضع أية هوامش.

مقتطف من مقدمة الترجمة الإسبانية

التي وضعها رافائيل جيراردوت

العنوان الأصلي للأنتي كريستو (Der Antichrist) هو على ما يظهر واضح. ترجمته الإسبانية تتبع الصورة المعادية ليسوع والموجودة في رؤيا يوحنا⁽¹⁾. والعنوان الفرعي ((لعنة

(1) إن كلمة "ضد المسيح" لا توجد إلا في رسالتي يوحنا الأولى والثانية (1 يوحنا 2: 18، 22؛ 3: 3، 4 و 2 يوحنا 7) والرؤيا لا تذكر حرفياً هذه الكلمة، ولكن واضح مما تصفه أنها ترسم صورة أشمل من الرسائل لضدية المسيح، حيث محاربة "القديسين" ولعن الله وسجود الأكثرين للضد. وهذا ما يذكره نيتشه ويريده، مع استخدام تلك الكلمة من الرسالتين. (تعليل من المترجم إلى العربية)

ضدَّ المسيحية))، وأيضاً مضمون العمل، لا يغطيان بالكلية هذا الإحياء، وإنما يضعان عدة إشارات أخرى توضح المقصد، كما أنها في ذات الوقت تعطي كثافة وتعقيداً يحجب النبرة الجدلية لل عنوان.

في كتابه ((هذا هو الإنسان)) كتب نيثشه: ((أنا "ضدَّ الحمار بامتياز" ومعهُ أنا وحشٌ تاريخيٌّ عالميٌّ، أنا في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط، ضدَّ المسيح)) (IV,2). في "ضدَّ الحمار" يشير نيثشه إلى فصول "البعث" و"عيد الحمار" في الجزء الرابع من زرادشت، والتي يصور فيها ((الناس الراقين، والذين هم الملكان، والبابا المعتزل، والساحر اللعين، والمتسول باختياره، والسائح الحاج والظلّ، والعراف القديم، والمتأثّم في الروح، وأقبح العالمين)) يصورهم وهم راكعون يعبدون الحمار: هذا هو "إلهنا". ولدى صيرورته ((ضدَّ الحمار بامتياز)) يكون نيثشه ضدَّ — إله أولئك ((الناس الراقين)) وكذلك ((وحش تاريخي — عالمي))، وهذا هو ((حيوان له عشرة قرون وسبعة رؤوس وعلى قرونيه عشرة تيجان، وعلى رؤوسه اسم تجديف)) كما تصف الرؤيا (فصل 1:13) ضدَّ المسيح.

لكن عبارة ((أنا في اليونانية..)) تشير إلى معنى آخر لكلمة حمار، إلى المعنى الإيجابي، أي إلى المعرفة التي يمتلكها هذا

الحيوان في عبادة ديونيسيوس. لقد كان الحمار بعد الثور والتيس، الحيوان الثالث المختار من ديونيسيوس.

فديونيسيوس وخاصته كانوا يمتطون الحمير، ونهيق هذه الحيوانات كان يسبب رعباً للأعداء فيبادرون إلى الهرب.

في العبارة الملغزة بدنياً ((أنا، في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط)) يتطابق حمار زرادشت بوصفه ضدَّ — إله أولئك ((الناس الراقين))، مع ضدَّ — المسيح الرؤيوي، الذي هو ((الوحش التاريخي العالمي))، ومعهما حمار ديونيسيوس بوصفه ضدَّ — مسيح جدلياً، بامتلاكه سمة صوت صارخ متحدّ، في السطر المعروف الذي كتبه نيثشه في لحظة نشوة ذاهلة: ((ديونيسيوس ضدَّ المصلوب)).

الوحش هو ((عالمي تاريخياً)) ليس لأنه في صورته وفكرته هذه يكرّر الصورة الرؤيوية، بل لأن نيثشه بعمله الجدلي يدشن عصاراً جديداً في التاريخ العالمي، ويفتح الأبواب على فلسفة المستقبل الديونيسية. ((ضدَّ — المسيح)) هكذا ((Elanticristo))، هو ضدَّ — المسيحي ((Elanticristiano)).

يكون متمرساً على الحياة فوق الجبال ليرى في الأسفل النمائيم البائسة حول السياسة وأنانية الشعب.. يجب أن يغدو غير مبالٍ، وألاً يكون ثمة سؤال أبداً إن كانت الحقيقة ذات نفع، أو أنها تتقلب شوماً على أحد.

يجب أن تُحاز قوة الميل إلى الأسئلة التي لا يملك أحد الشجاعة اليوم كيما يعرضها؛ الشجاعة تجاه الأشياء الممنوعة، وضرورة التهيؤ للمصاعب.. من العزلة يجب أن تكون خبرة.

مستمعون جدد يجب أن يوجدوا لأجل موسيقا جديدة... عيون جديدة ترى ما هو أبعد.. ضمير جديد لأجل حقائق حتى الآن هي بكما، وإرادة اقتصاد من نمط كبير.. المحافظة على القوى الذاتية والحماسة الخاصة... يجب أن يكون ثمة احترام للذات، ومحبة الذات، وحرية غير مقيدة تجاه الذات.

حسنٌ إذا! هؤلاء المطرّقون هكذا هم فقط قرّائي، قرّائي الأخصاء، قرّائي المختارون:

أية أهمية للآخرين، الآخرين الذين لعلهم كل البشرية؟ يجب التفوق على البشرية بالعزم، ويتشدّد النفس.. وبالاحتقار.

Friedrich Nietzsche

1 .

فلنحدّق في وجوهنا. إننا شماليون⁽¹⁾، ونعرف معرفة وإقية الجزء الذي نحيا فيه.

((لا في الأرض ولا في المياه تصادف الطريق إلى الشماليين)) حتى "بندار" قد عرف هذا عنا.

أكثر بعداً من الشمال، ومن الثلج، ومن الموت، ثمة حياتنا وسعادتنا.

إننا لنكشف السعادة، ونعرف الطريق، ونصادف المخرج من ألفيات كاملة من المتاهة.

من ذا صادفه أيضاً؟ ألعنه الإنسان الحديث؟

⁽¹⁾ Pindaro , xodapitica 29-30، الشماليون هم طرف العالم.

((لا أعرف ماذا أفعل؟ .. أنا بالكليّة من لا يعرف لا مَخْلاً ولا مَخْرجاً)) هكذا يدمم الإنسان الحديث متشكياً.

ومن هذه الحداثة نحن مرضى، من السلام المتعفن، من التسوية الجبائنة، ومن الصلاح القذر للنعم واللا الحديثين.

هذه المسامحة ووسع القلب، التي تعذر الكلّ لأنها ((تتفهم)) الكلّ، هي ريح الجنوب الشرقي⁽¹⁾ التي تهبّ علينا.

ولأفضّل أن يعاش في الثلج من أن يُعاش تحت الفضائل الحديثة، ورياح أخرى من الجنوب.

كنّا شجعاناً كفاية، ولم تكن بنا من رافة لا بذواتنا ولا بالآخرين، لكن عبر زمن متطاوّل لم نكن نعرف إلى أين نتّجه ببسالتنا: صرنا معتمين، ودُعينا قديرين.

مسيرنا كان الامتلاء، التحفّز، وتكديس القوة، كنّا متعطشين للاندفاع يترامى بصواعقه، وللأفعال، وبقينا الأبعد عن السعادة، سعادة الضعفاء، وعن الاستكانة.

ثمة عاصفة تهبّ في أجوائنا، وطبيعتنا تُظلم، لأننا لم ندرك أيّ طريق.

⁽¹⁾ sirocco لأوروبي هي الرياح الجافة والحارة التي تهبّ من صحارى شمالي أفريقية محمّلة بالغبار أو الرمل على جنوب أوروبا — وفي استخدام نيتشه لها معنى مزدوج البلاغة.

وَصِفَةُ سَعَادَتِنَا: موافقة بنعم، رفض بلا، خطّ مستقيم، وغاية.

2

ما هو الخير؟

إنّه كلّ ما يُربي الشعور بالقوّة إرادة القوّة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان.

ما هو الشرّ؟

إنّه كلّ ما يتأتّى عن الضعف.

ما هي السعادة؟

الشعور بأنّ القوّة تتنامى، وأنّ المقاومة تتجاوز. ليس أنها الرضى، بل قوّة أزود؛ ليس السلام، ولا بأية طريقة، لكنّما الحرب؛ لا الفضيلة، بل الكفاءة ((فضيلة بالمعنى الذي لعصر النهضة⁽¹⁾). فضيلة بلا "أخلاق — سطحية زائفة").

الضعفاء والفاشلون يجب أن يهلكوا:

⁽¹⁾ إشارة إلى المفهوم الأساسي عند ماكيافيلي. فالفضيلة هي القوّة الخلاقة للرجال العظماء الذين عبر هذه الفضيلة وبالتنظيم الحكيم الذي يوطّدونه، يستطيعون رفع مستوى أواسط الرجال.

تلك هي القاعدة الأساسية في حبنا للإنسان.

وفوق ذلك يجب أن تقدّم لأولئك المساعدة كي يهلكوا.

ما الأكثرية أذية من كل رذيلة؟

فعل الرأفة تجاه جميع الفاشلين والضعفاء: المسيحية.

3 .

المشكلة التي أعرضها ليست فيما يمكن للبشرية أن تحقّقه بتتابع الكائنات ((الإنسان غاية)) وإنما أي نمط من الناس يجب أن يُنشأ، وأن يُرتجى ويُنشد كقيمة عظيمة وأكثر استحقاقاً للحياة، وأكثر ضماناً للمستقبل.

هذا النمط الأعلى قد وُجد بنواتر، لكن كحالة من حالات المصادفة، كاستثناء وطفرة وليس أبداً كنشْدان وتوق؛ وبوضوح أكثر، لقد كان المخوف، وكان تقريباً التجسيد لما هو مرعب.

وكضد، وكنّاج لهذا الخوف، قد نُشِدَ وخلق وحُصل النمط المعاكس، الحيوان الداجن، حيوان القطيع، الحيوان المريض المدعو إنساناً — المسيحي.

4 .

البشرية لا تمثّل تطوراً نحو الأفضل، أو نحو الأكثر قوّة، أو نحو الأرفع، بالطريقة التي تُعتدّ اليوم.

ولعلّ فكرة الترقّي فكرة حديثة، بمعنى فكرة خاطئة.

الأوروبيّ اليوم صار أدنى قدراً من أوروبيّ عصر النهضة. التوسع المتتالي، لا يعني إطلاقاً، ولا بأية ضرورة، تسامياً وتنامياً واقتداراً.

وبمعنى آخر مختلف، تحقّقت باستمرار في حالات مفردة، بأماكن مختلفة من الأرض، وحضارات متنوّعة، نتائج فيها بالفعل يُعبّر عن نموذج أعلى: شيء هو بالنسبة للبشرية كلّها إنسان متفوق ((سوبر — إنسان)).

وحتى إن ذرية كاملة، وجنساً وشعباً، بمكنّته أن يُجسّد، إمّا أتاحت له الظروف ذلك، واحدة من ضربات الحظّ تلك.

. 5 .

يجب ألا تزين المسيحية أو تُجمل.

لقد قامت بحرب مستمينة ضد هذا النمط السامي من الإنسانية، مبطلة كل غرائزه الأساسية، ومن هذه الغرائز استتبعت ما هو شرّ، والشرير: الإنسان القوي كنمط مستهجن ((الإنسان المغضوب عليه والهالك)).

لقد انحازت المسيحية إلى كل ضعيف ومنحط وفاشل، وشكّلت، من مناهضتها لغرائز التشبث بالحياة المفعمة، مثلاً، مفسدة ومسيئة، من خلال ذلك، إلى صميم تلك الطبائع النفسية الأكثر قوّة، عبر تعليمها لاعتبار القيم العليا المندفعة للنفس خطيئة وضلالات وغوايات.

المثال الأكثر إيلاماً هو هذا:

مثال ضياع باسكال الذي اعتقد أن عقله مُفسد بسبب الخطيئة الأصلية. بينما في الحقيقة كان مفسداً من المسيحية⁽¹⁾.

(1) إشارة إلى الفقرة 445 من خواطر باسكال، وهذه هي، من طبعة اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ترجمة إدوار البستاني: "الخطيئة الأصلية جهالة فسي أعين الناس، ولكنها بهذا وصفت. فليس لك إذن أن تأخذ عليّ بعد هذا المعتقد عن العقل، لأنّي وافقتك على ذلك، بيد أن هذه الجهالة أحكم من حكمة الناس"، ولولا هذا ماذا عسى أن يقال عن الإنسان إنه هو؟ إن

. 6 .

أيّ مشهد مؤلم ومرعب هذا الذي تبدّى أمام عينيّ عندما أزحت الستار الذي يحجب فساد الإنسان!

هذه الكلمة في فمي هي، على الأقلّ، في منأى عن الريبة، الريبة من أنها قد تتضمن اتهاماً أخلاقياً ضد الإنسان. مفهوماً — كما أريد إظهار هذا مرة أخرى — بتجرّد من الأخلاقية الزائفة، وهذا حتى الدرجة التي فيها يكون هكذا فساد معدوداً رغم كل شيء وبطريقة واعية جداً، تطلعاً إلى ((الفضيلة)) وإلى ((القداسة))!

وكما يتّضح، فإنني أفهم الفساد بمعنى الانحطاط: وأؤكد أن كل القيم التي تلخص الآن تطلعات البشرية العليا، هي قيم انحطاط.

مجل حاله منوط بهذه النقطة التي تفوق البصيرة. فأنى له أن يتيقن بعقله فيما هي مضادة للعقل؟ وهل لعقله أن يبتدعها بطرقه وهو الذي يبتدع عنها إذا عرضت له؟* إلماح من باسكال إلى كورنثوس 1: 25 "لأن مستحيل الله أحكم من الناس، ومستضعف الله أقوى من الناس"

إنني أدعو فاسداً: الحيوان، أو النوع، أو الشخص عندما يضيع غرائزه، مختاراً ومؤثراً ما هو مضر به. إن تاريخاً عن ((المشاعر السامية)) وعن ((المثل الإنسانية)) – ولعل من الممكن أنه يجب علي أن أرويّه – يمكن أن يكون إيضاحاً حول لماذا بات الإنسان فاسداً إلى هذا المقدار.

حتى الحياة ذاتها أعدها غريزة تنام، وبقاء، وتجميع للقوة، وغريزة اقتدار: وحيث تعوز إرادة القوة فثمة انحطاط.

وتأكيدي هو أن كل هذه القيم السامية للبشرية تفتقر إلى هذه الإرادة، وأنها قيم ساقطة، وقيم عدمية، تحقق قدرتها في ظل الاسم الأكثر تقدساً.

7.

بدين الشفقة يدعون المسيحية.

الشفقة والرأفة هي في الجانب المضاد للانفعالات المحرّضة التي ترفع طاقة الشعور الحيوي، وبهذا فإنها تنتج تأثيراً مُثبطاً.

عند الإشفاق تُضيع القوة.. وعبر الشفقة يتنامى ويتولد أكثر فأكثر خسران القوة التي بها تكون الحياة محتملة. الاحتمال نفسه يصاب بالعدوى المُمرضة من الشفقة.

وفي ظروف معينة يمكن أن تحصل خسارة عامة للحياة والطلاقة الحيوية، تُصادف في علاقة باطلة غير معقولة مع مقدار أهمية السبب (حالة موت الناصري).

هذه هي وجهة النظر الأولى، لكن ثمة أخرى بعد هي أكثر أهمية.

إما قيست الشفقة بحسب قيمة ردود الأفعال التي تستحثها، حينها فإن سجاياها الخلقية الخطيرة المضادة للحياة، تبدو تحت ضوء أكثر وضوحاً بكثير.

الشفقة في عمومها تتجرأ على قانون التطور الذي هو قانون الانتخاب.. تحافظ على الذي قد صار مهياً لغروبه، تكافح لأجل المحرومين في الأرض، والمدانين من الحياة.. وتعطي الحياة ذاتها، عبر استبقائها في الحياة لوفرة من الخائبين من كل جنس، هيئة كاسفة ومريية.

لقد اجترأ على أن تدعى الشفقة فضيلة (وهي التي تُعد في آية أخلاق نبيلة ضعفاً)⁽¹⁾ وذهب إلى أبعد من ذلك بإنشاء الفضيلة منها، وجعلها الأرضية والأصل لكل فضيلة، لكن فقط — وهذا ما يجب أن يظل دائماً مأخوذاً في الحسابان — من خلال نظر فيلسوف عدمي، قد كتب فوق مجته شعار إنكار الحياة.

شوبنهاور بسببها كان إزاء هذا: عبر الشفقة أنكر الحياة، ومن خلالها جعلها أكثر مستحقة للإنكار.

الشفقة هي ممارسة العدمية⁽²⁾.

أقول مرة أخرى: هذه الدوافع المثبطة للعزم، والمُمرضة، تتجراً على تلك الغرائز التي ترمي كغاية إلى حفظ الحياة، وإلى زيادة وإعلاء قيم الحياة.

وإنها — بالطريقة ذاتها — بمقدار ما تُكاثّر البؤس كونها حامية للبؤساء، فإنها أداة أساسية في تضخيم الانحطاط.

⁽¹⁾ يجتمع في الأصل في هذه الكلمة المعنى المزدوج للأرسطراطية والفضيلة، وفي كتابه أصل الأخلاق المقطع 10 يقول نيتشه "إن كل أخلاق أرسطراطية تولد من تأكيد فخور بذاتها، بينما أخلاق العبيد ترفض كل ما لا يشكل جزءاً من ذاتها" ويريد نيتشه هنا الاستجابة الفعلية مقابل رد الفعل.

⁽²⁾ في كتابه الأساس ((العالم كإبرة وتصوّر)) IV: 66 يقابل شوبنهاور بين الحب والعاطفة ويؤكد أن الحب يقود إلى التخلي التام عن إرادة الحياة، وهذا يعني، عن الرغبة. [P].

الشفقة تقود إلى اللاشيء، ولا يقال اللاشيء بل الأفضل أن يُقال ((الأبعد)) ((العالم الآخر)) أو ((الله)) أو ((الحياة الحقيقية)) أو ((النرفانا)) ((الخلاص)) ((المجد)).

هذه البلاغة البريئة المتأنيّة من مملكة الجبلة الأخلاق — دينيّة، تبدو حالاً على أدنى قدر من البراءة عندما يفهم أي نزوع ينضوي تحت عباءة هذه الكلمات الرفيعة:

النزوع المضاد للحياة. شوبنهاور صار معادياً للحياة: وبهذا قد حوّلت الشفقة إلى فضيلة.

كما هو معروف، فإن أرسطوطاليس رأى في الشفقة حالة مرضية وخطرة، يجب أن تُعامل، حيناً بعد حين، بالتطهير. لقد فهم التراجيديا كمطهر⁽¹⁾.

من خلال غريزة الحياة يتوجّب البحث فعلاً عن تدبير يمكن من وخز البثرة المنقّحة المُمرضة والخطرة، كما تتمثل في حالة شوبنهاور (وكذلك — ياللبؤس — كما تتمثل في عموم انحطاطنا الأدبي والفني من سان بطرسبرج إلى باريس ومن تولستوي إلى فاغنر) وخزها حتى تتفقي.

⁽¹⁾ إنها نظرية التطهير المعروفة. ففي كتابه "فن الشعر" يرى أرسطو التراجيديا تقليداً لفعل نبيل وأنها بمساعدة الشفقة والخوف تؤدي إلى التطهير من هكذا انفعالات (1449 b 27-28)

ليس ثمة ما هو أقلّ معافاة، داخل حادثتنا القليلة الصحة، من الشفقة المسيحية.

إنه شأننا أن نصبح هنا أطباء، ذوي قلوب لا ترحم، وأن نستخدم المسكين.

إن هذه هي خصوصيتنا، وهذه هي طريقتنا في محبة البشر، وبها نكون فلاسفة، نحن الشماليين.

8 .

إنه لمن الضروري أن نقول من هو الذي نشعر به عدواً لنا. إنهم اللاهوتيون وكل من يحملون في أجسادهم دماً لاهوتياً. إنهم كل فلاسفتنا.

توجد ضرورة لرؤية شؤمهم رؤية قريبة، وللمن الأفضل أن يُختبر ويعايش من داخله، وأن يصار إلى حافة الموت بسببه، حتى لا تقبل أية ممازحه في هذه النقطة (حرية التفكير لبحاثتنا في الطبيعة وفي علم النفس هي عندي دعاية ثقيلة، إذ ينقصهم الإحساس بهذه الأمور والمعاناة بسببها).

ذلك التسمم قد وصل أبعد جداً مما يُعتقد؛ لقد صادفت في كل غريزة الغطرسة اللاهوتية، حيث يعدّ اليوم الناس ذلك المتغطرس ((كمثالي))، وحيث بواسطة حجة أصل رفيع، يطالب بحق النظر إلى الحقيقة في جو متعال وغريب.

المثالي على ذات المساواة مع الكاهن، يملك في يده كل المفاهيم الكبيرة (وليس في يده فقط)، ويتنازل ليواجه باحتقار ((الملكة العقلية)) و ((الأحاسيس)) و ((الرفعة)) و ((الرخاء)) و ((العلم))، وإنه ليرى أموراً كهذه، دونه، ويراهما قوى مؤذية ومغوية، وفوقها جميعاً يطفو ((الروح)) في حرية ذاتية خالصة — كما لو أن الطاعة والعفة والفقر، وبكلمة واحدة: القداسة، لم تتسبب إزاء الحياة حتى الآن بأضرار تفوق أن تحصر، أكثر من أي رعب ورذيلة.

الروح الخالص كذبة خالصة.

طالما أن هذا الكاهن، هذا الرافض، هذا الواشي والمسمم المحترف للحياة يظلّ معتبراً كنمط أعلى للإنسان، فإن السؤال: ما هو الحق؟ لا يملك إجابة.

الحقيقة تنقلب، بأرجل إلى فوق، عندما يُعدّ المدافع الحصيف عن العدم وعن الإنكار كتمثّل للحقيقة.

بهذا تقريباً يُمثلك معيارٌ للحقيقة.

إنها غريزته العميقة لحفظ الذات، التي تمنع أن يغدو الواقع هو المشرف في أي موضع، أو أن يملك المبادرة و الأولوية في الكلام.

إلى حيثما يصل تأثير أولئك اللاهوتيين، فإن حكم القوة يصبح مقلوباً، ومفاهيم ((الحقيقي)) و ((الزائف)) تغدو حتماً واقفة على رأسها⁽¹⁾.

ما هو أكثر إساءة للحياة يُدعى هنا بالحق، والذي يعليها ويسمو بها ويثبتها ويبرتها ويجعلها منتصرة يُدعى باطلاً...

وإذا ما حدث ومذ اللاهوتيون يداً إلى القوة عبر ((ضمير)) السادة أو ((الشعب)) فلسنا نشك أصلاً فيما يجري دائماً: إرادة النهاية، إرادة العدم، تريد أن تمتلك القدرة.

10

يفهمني الألمان توماً عندما أقول أن الفلسفة قد باتت مُفسدة بدماء اللاهوت.

(1) في الأصل. يقصد أنها تغدو مقلوبة.

9

على هذه الغريزة اللاهوتية أنا أعلن الحرب:

لقد وجدتُ آثار اللاهوتيين في كل الأنحاء.

من تجري في عروقه الدماء اللاهوتية، فإنه يتخذ مسبقاً موقفاً ملتويّاً وغير مخلص تجاه جميع الأشياء.

الشفقة الراهية ((pathos)) التي تُنمى من هنا، تُدعى إيماناً: إغلاق العين دائماً عن كل ما يقابلها حتى لا تعاني من رؤية الباطل الذي لا يمكن أن يعالج! وانطلاقاً من هذه النظرية الشائنة تنشأ أخلاقية وفضيلة وقداصة تجاه كل الأشياء، ويُشدّ الضمير الصالح ويربط إلى هذا النظر المنحرف.

يقتضى أن أية نظرة أخرى مخالفة لا تستطيع أن تمتلك قيمة، من ثم، ما لم تكن في ذاتها، ومع تلك الأسماء لـ ((الله)) و ((الفداء)) و ((الأبدية)) قد كُرسَت ككلية القداسة.

إنني أنبش مُظهراً — أنى وجدتها — غريزة اللاهوتي: إنها الشكل الديماسي (التحت أرضي) الخاص بالبهتان، ذلك الذي هو الأكثر انتشاراً في الأرض.

الذي يعدّه اللاهوتي حقيقة يجب أن يكون زائفاً:

الراعي الروتسنتاني هو جذ الفلسفة الألمانية، والبروتستانتية هي خطيئتها الأصلية.

تعريف البروتستانتية: فالج نصف في المسيحية، وفي العقل. فقط عبر النطق بهذه الكلمات ((Tubinger Stift))⁽¹⁾ ((مدرسة توبينجه الإكليريكية)) ثمة كفاية لمعرفة ما هي في الأساس الفلسفة الألمانية: لاهوت مستتر مخادع.

السوابيون ((البافاريون)) هم أمهر الكاذبين في ألمانيا .. إنهم يكذبون بكل براءة.

من أين اندفعت الغبطة الغامرة، مع مجيء "كانط"، منساحة فوق كل عالم الذكائرة الألمان المكون في ثلاثة أرباعه من أولاد الكهنة والمعلمين؟

من أين ذلك الاقتناع الألماني، الذي إلى اليوم يُسمع صداه، بأنه بدءاً من "كانط" قد حدث انعطاف نحو شيء أفضل؟

الغريزة اللاهوتية داخل الحكماء الألمان تنبأت بما يعود ليصير ممكناً... الطريق السري نحو المثال القديم صار مفتوحاً؛

(1) هذه المدرسة كانت معدودة معقلاً راسخاً للبروتستانتية في في فورتمبيرج والسواب. أسست في 1547 وفيها درس كبلر، وهيجل، وشيلينج، والشعراء هولدرلين وإدوارد موريك ودافيد فريدريك شتراوس والمنظر الجمالي فريدريك تيودور فيشر، وآخرون [P].

فكرة ((العالم الحقيقي))، فكرة الأخلاق كجوهر للعالم (وهذان الخطآن اللعينان، هما أسوأ ما وجد بين الأخطاء كلها) الآن، ومجدداً، بفضل ارتيابية ماكرة دهية، إما كانا غير قابلين للإثبات، فإنهما ليسا يدحضان.

العقل، وحق العقل، لم يصل إلى بُعد كبير.

الواقع الحقيقي جعل شكلاً ((ظاهراتية))، وعالم هو بالكلية كاذب وباطل؛ وعالم ((الشيء في ذاته)) ابتدع محولاً إلى حقيقة!

نجاح "كانط" هو ببساطة نجاح اللاهوت، لأن "كانط" وبالمساواة مع لوتر "ولبينز" كان عائناً إضافياً أمام النزاهة الألمانية، التي لم تكن في ذاتها وافرة الصلابة بعد.

.. 11 ..

كلمة أخرى إضافية ضد "كانط" كأخلاقي.

كل فضيلة يجب أن تكون ابتداءً شخصياً، ودفاعاً ذاتياً عميقاً وضرورياً: وفي أي اعتبار آخر فإنها تتمثل خطراً.

الذي لا يوائم حياتنا يضرّ بها: الفضيلة التي تتأتى فقط من الشعور بالاحترام تجاه فكرة الفضيلة، كما أرادها "كانط"، هي أذية.

((الفضيلة)) ((الواجب)) ((الخير ذاته))، الخير بصفات غير شخصانية، بقيمة عمومية، تلك هلوسات يعبر بها عن الانحطاط، والإرهاق النهائي في الحياة، ورعاية كونجسبرغ⁽¹⁾.

المقابل هو الذي يُقدّم من القوانين العميقة للحفاظ على الحياة والنمو: أن كلاً يبتدع فضيلته الخاصة، وأمره القطعي: ينقرض شعباً عندما يؤسس واجبه عبر فكرة الواجب العام.

ليس ثمة ما يدمر أكثر عمقاً وأكثر عنوّاً من الواجب اللا شخصي، ومن تقديم الأضاحي أمام مولوخ التجريد⁽²⁾.

كيف أن الأمر القطعي⁽³⁾ عند "كانط" لم يُشعر به كخطر أخلاقي؟! لقد حدث أن غريزة اللاهوتي وحدها من قام بحمايته.

(1) تدلّ على تجمّع من السفلة والأوباش، ويستخدم نيّشه هذا المصطلح كإشارة تحقيرية لأمانويل كانط.

(2) من آلهة الكنعانيين، وكانوا ينقربون إليه بأطفالهم ويحرقونهم أحياء.. وإبان حصار قرطاجة عام 307 ق.م أحرق على مذبحه مائتا غلام من أبناء أرقى الأسر.

(3) الأمر القطعي (المطلق) عند كانط تجده مفصلاً في الفصل الثاني من تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق (ت. د عبد الغفار مكاري) وقيمه على

إن فعلاً مدفوعاً من إرادة الحياة يمتلك في الفرح ما يبرهن على أنه فعلٌ صحيحٌ وحقٌ.

مع ذلك، فهذا العدمي ذو الأحشاء المسيحية — الدغمائية، قد فهم الفرح كمعارضة⁽¹⁾.

ما الذي يدمر بسرعة أكثر من العمل، التفكير، الشعور، بلا ضرورة داخلية، بلا أي اختيار شخصي عميق، بلا فرح، كإنسان آلي مسير بالواجب؟

هذا بكل تأكيد هو الطريق إلى الانحطاط، وحتى إلى البلاء. "كانط" تحول إلى أبله، وقد كان معاصراً لـ "جوته"!

شؤم العنكبوت هذا قد غدّ الفيلسوف الألماني. وحتى الآن يُعدّ هكذا.

ميتافيزيقيا أخلاقية مفصولة عن الوقائع وعن الفطنة (بحسب مفهوم أرسطو لها في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخس). "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام" ص 6.

(1) استزد بكتاب نيّشه أصل الأخلاق فحين يتحدث نيّشه عن المشكلة الأخلاقية يعجب من تعريف كانت للجمال بأنه ذاك الذي يثير إعجابنا دون أن يخالط هذا الإعجاب أية فائدة أو هوى. ويقول نيّشه معقياً: "بلا هوى! قارنوا هذا التعريف بتعريف ستندال الذي سمى الجمال مرةً بشري بالسعادة".

سأكون متتبعاً في القول بما أفكر فيه تجاه أولئك الألمان.
أعلّـ "كانط" لم يرَ في الثورة الفرنسية التحول من الشكل اللا
عضوي للدولة إلى الشكل العضوي؟

ألم يسأل إذا كانت قد وجدت حادثة واحدة يمكن أن تكون
مشروحة ومفسرة إلا عبر تنظيم أخلاقي للبشرية، الأمر الذي
يبرهن نهائياً ميل البشرية وتوجهها نحو الخير؟

جواب "كانط" ((هذه هي الثورة)).

- الغريزة غير المؤكدة والملتبسة في كل وفي أي شيء من
الأشياء؛

- المضادة للطبيعة، كغريزة؛

- الانحطاط الألماني كفسفة؛

هذا هو "كانط".

12 .

إما صرفت النظر عن بعض الشكاكين، الذين يمثلون النمط
المحترم في تاريخ الفلسفة، فإن البقية لا يعرفون المتطلبات
الأولية للنزاهة العقلية.

كلهم يتصرفون كالآنسات؛ كل هؤلاء المشعوذين الخياليين
والوحوش الخرافية، ينظرون إلى المشاعر الجميلة كافتخار،
وإلى الصدر المرتفع ككبر للآلوهية، وإلى الاقتناع التام كأساس
للحق.

في آخر الأمر يحاول "كانط"، وبلطف ألماني، أن يعطي لهذا
الشكل من الفساد، لهذا الشخ في الضمير العقلي، ملامح علمانية
بواسطة فكرة ((العقل العملي))، مبتدعاً سراعاً سبباً معللاً
وحجة لتلك الأحوال التي يتوصل فيها المرء ألا يملك ما يهتم
معها بالعقل، أي، عندما الأخلاق، عندما الأمر الرفيع
((واجباتك)) تغدو مسموعة ومُصغى إليها.

إذا عُذ عند كل الشعوب تقريباً، أن الفيلسوف ليس سوى
امتداد للنمط الكهنوتي، فعندها ليس بمفاجئ لنا هذا الجزء من
ميراث الكاهن، هذا الغش تجاه الذات:

عندما يمتلك واجبات مقدسة، وعلى سبيل المثال، تحسين
وإنقاذ فداء البشر، وعندما يحمل الآلوهة داخل صدره، ويكون
هو المذيع للأوامر المتعالية، فإنه — مع هكذا دعوة وتبشير —
يصير خارج كل القيم التي في نطاق العقل، ويكون فضلاً عن
ذلك مقدساً عبر هذه الواجبات! ويصبح أيضاً شخصاً من نمط
عال!

بماذا يهّم العلم الكاهن؟!

إنه فوق العلم بكثير!

والكاهن مازال مسيطراً حتّى الآن.

إنه هو من قرّر مفاهيم ((الحقيقي)) و ((الباطل)).

13

لا نستخفّن بهذا: نحن ذاتنا، الأرواح الحرة، محوّلّ للقيم، وإعلان فيزيقي حيّ للحرب وللغلبة على كلّ المفاهيم القديمة للحقيقي واللا حقيقي.

إنها الانتصارات الأكثر قيمة تلك التي تصادف في وقت متأخر؛ غير أن ما هو أكثر فخريّة بينها هو تلك المناهج.. كلّ المناهج وكلّ فرضيات علمانيّتنا العقلية اليوم، عانت الاحتقار العميق ضدّ كياناتها لآلاف السنين، وبسببها كان الرجل يُنفى ويستبعد من معاملة الناس الشرفاء، معدوداً كـ ((عدوّ الله)) كمحتقِر لـ ((الحقيقة)) ومزدرٍ لها، وكمن به مس. وكمتّصف بسجيّة علميّة فإن الواحد كان يُعدّ Chandala ((أحقّر

الطبقات))⁽¹⁾. لقد عانينا من كلّ العواطف القلبية المشفّقة Pathos كضدّ لذواتنا. وكلّ مفهوماتها عمّا يجب أن تكون الحقيقة، وخادم الحقيقة، وكلّ ((واجباتك))، كانت موجّهة ضدّ ذواتنا.

موضوعاتنا، فعليّاتنا، طريقتنا الصامته والفتنة والمتشككة، كلّ هذا بدا للبشرية غير جدير، وغير أهل بالتقدير.

⁽¹⁾ أتت الشائداً من إحدى قبائل الهند القائمة في البنغال الشرقية.. هذه القبيلة تشكّل الطبقة الأكثر حطّة، وقد عوملت في الكتب والأشعار بالنعوت الأكثر تحقيراً.. ونيشيه يأخذ وصفهم من كتاب لويس جاكوليوت عن التشريعات الدينية عند مانو، موسى، ومحمد الصادر في باريس سنة 1876 حيث يقول عن الشائداً: ((إنهم ثمار البغاء وزنى المحارم والانحراف (وهذه هي النتيجة اللازمة لمفهوم العقاب الجسدي).. وفي اللباس عليهم أن يرتدوا فقط أثمالاً، ولأنيّة فقط يستعملون جفاناً مكسورة، وللزينة حديد قديم، وللعبادة الدينية فقط الأرواح الخبيثة؛ ودون سلام، عليهم أن يرتحلوا من مكان إلى مكان؛ وممنوع عليهم أن يكتبوا من اليسار إلى اليمين أو أن يستعملوا اليد اليمنى للكتابة، إذ أن استعمال اليد اليمنى والكتابة من اليسار إلى اليمين أمر محفوظ للأفاضل وذوي النسب)). [P] في شفق الأوثان ((الذين يريدون إصلاح البشرية بند 3)) يعود نيشيه ويذكر أغلب ذلك.

ويمكن أخيراً — لأجل الإنصاف — التساؤل عما إذا لم يكن شعوراً جمالياً في الأصل هو الذي ترك البشرية في هكذا عمى متطاوول الأمد.

هذا يقتضي من الحقيقة فعلاً تصورياً، وبالمقدار عينه يقتضي من البخاتة المنقّب أن يمتلك تحكماً قوياً بالمشاعر. تواضعنا غير أمداً متطاوولاً في مناهضة اللذوق. أه! كيف تنبأت بذلك ديوك الله الرومية!

. 14 .

لقد أعدنا تصحيح المفاهيم. لقد عدنا متواضعين في كلّ الحقول. إننا لم نعد نشنق الإنسان من ((الروح)) ومن ((الآلوهية))، وإنما صرنا نضعه بين الحيوانات. إننا نعدّه الحيوان الأكثر قوة، ذلك أنه الأكثر دهاءً. إحدى نتائج ذلك هي عقلانيته.

من جهة أخرى، إننا نحترز من باطل يريد أن يجعل صوته مسموعاً هنا أيضاً: إنه ذاك الذي بمقتضاه يصبح الإنسان المقصد العظيم الكامن للتطور الحيواني.

ليس الإنسان، ولا بأي طريقة أو معنى، تاج الخليقة⁽¹⁾. وإن كلّ كائن من جهته هو على ذات المستوى من الكمال. وعندما نؤكد هذا، فإننا نؤكد كذلك زيادة: أن الإنسان، نسبياً، هو الحيوان الأكثر فشلاً، الأكثر مرضاً، والأكثر ابتعاداً بشكل خطر عن غرائزه. وطبعاً، ومع كلّ هذا، هو الأكثر إثارة! فيما يتعلق بالحيوانات، فإن "ديكارت" كان الأول الذي بجرأة تستأهل التقدير، اجتراً ونظر إلى الحيوان كما لو أنه آلة⁽²⁾. كلّ فيزيولوجيتنا اجتهدت لإثبات هذه القضية، لكننا لم نعد نستثني الإنسان — طبعاً — كما فعل "ديكارت"⁽³⁾: إذ كلّ ما هو

(1) في النسخ الثلاثة التي بين يديّ يستعمل كلمة ((Creacion)) أي الخليقة أو المبروءات أو البرية، ورجل علماني يجب أن يستخدم كلمة كائنات حيث لا تدلّ على خالق بل على الطبيعة، لكن نيقشه هنا يستخدم هذا التعبير اللاهوتي بقصد نقضه، وهذا يظهر في كلمة كائن في العبارة التالية.

(2) يقول ديكارت: ((الحيوان بوصفه ساعة تحكمها اللوالب والدواليب)) المنهج لإحكام قيادة العقل، القسم 5.

(3) يقصد قول ديكارت: ((لأنني لم أجد بعد الكفر بالله... ضللاً أشدّ إبعاداً للنفوس الضعيفة عن طريق الفضيلة المستقيم، من أن يتوهم الناس أن للبهائم نفوساً من طبيعة نفوسنا))، المنهج، القسم 5. وواضح هنا أن نيقشه قد فهم طبيعة نظر ديكارت إلى الحيوان بوصفه آلة، كونها خطوة لتأكيد تفرّد الإنسان عنه وامتلاكه روحاً مقابل آلية الحيوان، وهو ما ينفذه نيتشه.

معروف اليوم عن الإنسان يؤدي بالضبط إلى النقطة التي يُعدُّ فيها ماكينة.

وقبلاً قد ادَّعى أنَّ الإنسان عطيةً متأتيةً من نظام أسمى، هو الإرادة الحرة: اليوم نحنُ نقصي حتَّى الإرادة بالمعنى الذي يوجب ألا تكون بعد معدودة بوصفها ملكة.

الكلمة القديمة ((إرادة)) تصلح فقط لتشير إلى مفاعيل ونتائج، نوعاً من ردِّ الفعل الشخصي الذي يستجيب ضرورة لمقدار من الحوافز المتعارضة في جزء والمتوافقة في آخر.

الإرادة لم تعد ((تفعل))، لم تعد ((تتحرك))..

قبلاً، نظِرَ في ضمير الإنسان، وفي روحه، دليلاً على أصله العلوي، وعلى ألوهيته. لجعل الإنسان كاملاً، نُصح، على طريقة السلاخفة، أن يصرف أحاسيسه إلى داخل ذاته قاطعاً علاقته بالأرض، وأن يتجرّد من قشرته الفانية: فما يتبقى منه هكذا إلّا الأصلي، ((الروح الخالص)).

حول هذا أيضاً تأملنا جيداً مقومين التصور: تحصيل الضمير و((الروح))، يعني لنا بدقة عَرَضاً من نقص نسبي في الكائن العضوي، محاولة، وتحسُّن عاش، ضلالاً، وعملاً راهقاً فيما يستنفذ بغير ضرورة الكثير من الطاقة العصبية.

إننا لننكر أن يكون ثمة ما يُبلغ به الكمال في حين يُعمل بضمير.

الروح الخالص جهالة خالصة. إمّا طَرَحنا من الحساب النظام العصبي والحواس، ((القشرة الفانية)) فإننا نخطئ في الحساب، ولا أكثر.

. 15 .

لا الأخلاق ولا الدين في المسيحية يلامسان الواقع في أية نقطة.

- دوافع خيالية محضة:
("الله"، "النفس"، "الأنا"، "الروح"، "الروح الحرة" .. أو كذلك "الجبرية").

- مفاعيل خيالية محضة:
("الخطيئة"، "الفداء"، "النعمة"، "العقاب"، "غفران الخطايا").
- علاقة بين تكوينات خيالية:
("الله"، "الروح"، "النفس").
- علوم طبيعة خيالية:

(مركزية الإنسان داخل الكون، مع غياب كلي لمفهوم الأسباب الطبيعية).

- علم نفس خيالي:

(فهم خاطئ لكيفية الذات، تمثيلات لمشاعر عامة مرضية أو غير مرضية، وكمثال: حالات العصب السمبثاوي "العصب الودي"، مع مساعدة من اللغة الإشارية لطبع أخلاق - ديني - "التوبة"، "تأنيب الضمير"، "غواية الشيطان"، "قرب مجيء الرب").

- غائية⁽¹⁾ خيالية:

("مملكة الرب"، "الحساب الأخير"، "النعيم الأبدي").

هذا العالم الوهمي، الخالص الوهمية، يتميز، وبسوء واضح، عن عالم الأحلام، لأن هذا الأخير يعكس عالم الواقع، بينما ذاك البطلان وخسف القيمة، والإنكار.

بعد إحداث مفهوم "الطبيعة" كمفهوم مضاد "لله"، فإن كلمة "طبيعي" جعلت مترادفة مع "مذموم أو مستنكر".

⁽¹⁾ Teleologia بالمعنى الحديث الذي أعطاه كريستيان وولف (-1679/1754): "ذلك الجزء من فلسفة الطبيعة الذي يشرح غايات الأشياء يمكن أن يدعى الغائية" [P].

كلّ عالم الوهم ذاك يمدّ جذوره في الكره المقابل لكلّ ما هو طبيعي (حقيقي).

إنّهُ التعبير عن نفور عميق من الواقع الحقيقي. لكن بهذا يغدو كلّ شيء مفسّراً.

من الذي يمتلك الدوافع للتهرب بكذبة من الواقع؟ إنّه الذي يكابد ويعاني منه.

لكنّ المعاناة من الواقع تعني وجود واقع غير ذي توفيق. هذا الرجحان لمشاعر النفور على مشاعر المسرة هو السبب في تلك الأخلاق وتلك الديانة الوهمية الصورية:

هكذا رجحان مع ذلك هو وصفة الانحطاط.

. 16 .

إنّ نقداً للمفهوم المسيحي عن الله يحملنا إلى إظهار نتيجة مطابقة.

إنّ شعبنا يثق بنفسه، يمتلك كذلك إلهه الخاص، وفيه يحترم الظروف التي بواسطتها بات في الأعلى، ويوقّر فضائله.. إنّه

يخلق سعادته بذاته، وشعوره بالقوة، في كينونة يمكنه أن يتوجه إليها بامتثانه.

من هو غنيّ يشوق إلى العطاء. وشعبٌ فخورٌ يستشعر الحاجة إلى إله كي يزجي إليه قرايبه.

الدين بمقتضى هكذا مقدّمة هو شكل من الشكران.

ثمّة من يكون ممثلاً لذاته، ولأجل ذلك يحتاج إلى إله.

هكذا إله يجب أن يكون قادراً على الإنعام والإساءة، وفي حالات من وجوده يكون صديقاً وعدوّاً، وينال الإعجاب في الخير كما في الشرّ.

إن خصاء الله، المضادّ للطبيعة، يُصنع منه فقط إله للخير، سيكون إزاء هكذا أفكار خارج كل ما هو مستحبّ.

فالمرء يحتاج تماماً إلى إله شرير بمقدار ما يحتاج إليها صالحاً، كما إلى أن لا يُرهن الوجود الذاتي إلى المسامحة والإنسانية بكل تأكيد.

بأي شيء يفيد إله لا يعرف الغضب والانتقام والحسد والسخرية والمكر والعنف، والذي حتّى لا يعرف الأوار الساحر والاضطرام الخلاب للغلبة والتدمير الهدام؟

إله كهذا لا يمكن أن يفهم ماذا يفيد شعباً أن يحتازه؟

بكل وضوح وتأكيد: إذا انهيار شعب، وإذا بشكل قطعي بات يشعر أن إيمانه بالمستقبل، وأمله بالحرية، اضمحل، وإذا، إذا ارتدّ والنفت إلى الوثوق بأن الخضوع هو النافع الأول، وبأن فضائل الرضوخ هي مستلزم الحفاظ على الحياة، حينئذ: فإن إلهه يجب أن يتغيّر.. يصبح منافقاً مرانياً هيّابة، متواضعاً ناصحاً بسلام النفس وبترك البغضاء، وبالمسامحة وبالمحبة للصادق كما بالمثل للعدو.. يعطّ مهذباً الأخلاق دون توقّف، ينسحب إلى كهف الفضائل الذاتية، يتحوّل إلى إله للجميع، إلى شخص، على الخصوص، يتوافق مع كل العالم.

في أزمان أخرى، يمثل الله شعباً، وعزم شعب، وكلّ عدوانية وتعطش ذات ذلك الشعب للقوة.

الآن، وبالكاد هو فقط الإله الصالح.

في الواقع، لا يوجد بدائل أمام الآلهة:

إمّا أنهم إرادة قوة، وخلال ذلك يكونون آلهة شعوب..

أو أنهم بطريقة تالية عجز عن القوة. ومن ثم يصبحون بالضرورة أخياراً صالحين.

. 17 .

حيثما تتحرف إرادة القوة بأي شكل، فثمة في الوقت عينه خورٌ فيزيولوجي، انحطاط.

ألوهة الانحطاط، تلك المجردة من، والمخصية في، فضائلها وغرائزها الأكثر حيوية، تتحول — لابدً — إلى إله للمنحطين المتدهورين فيزيولوجياً، للضعفاء.

وهؤلاء لا يدعون أنفسهم "ضعفاء" بل "طيبين".

وإنه مفهومٌ، دون حاجة إلى علامة لاحقة، في أية لحظة من التاريخ أمكن أن يتحقق الوهم المضاعف لإله صالح وآخر شرير.

ومع الدافع ذاته الذي به يُحدر المقهورون إلههم إلى الإله الطيب في ذاته، يجردون إله الغلابين من خصاله الجيدة.

إنهم لينتقمون من أسيادهم محولين إله هؤلاء إلى شيطان.

الإله الصالح مثل الإله الشرير: كلاهما طرخ انحطاط.

كيف أمكن إلى اليوم أن يُسلم لبلاهة اللاهوتيين المسيحيين إلى حد أن يقرّر معهم أن التطور اللاحق لمفهوم الله، بدءاً من

(إله إسرائيل)، من إله شعب، إلى إله مسيحي — هو خلاصة جوهرية للخير — يكون ترقياً؟!

حتى "رينان" نفسه يفعل هذا، كما لو أن رينان يحق له أن يكون أبلهاً! (1)

- المناقض يقفز إلى النظر.

إذا ما ظروف الحياة الصاعدة المترقية ومتطلباتها، وإذا كل ما هو قوي، قيمٌ بجسارته، سيادي، شامخٌ أنوف، بقي مستبعداً من مفهوم الله، وإذا الله شيئاً فشيئاً تحدر ليصبح رمزاً لعصا المتعبين وعكازهم، ولعوامة إنقاذ لكل من يغرقون، وإذا تحول إلى إله — الفقراء، وإلى إله الخطاة، إله للمرضى المثاليين من أعلى نمط متميز، والمحمول "مخلص" و"قادي" يبقى — إن جاز القول — محمولاً إلهياً على العموم، فإذا عن أي شيء يتحدث هكذا تحول، هكذا خسفٌ للألوهي؟

واضح: ((مملكة الله)) تنمو هكذا.

في زمنٍ ماضٍ لم يكن الله يمتلك غير شعبه، ((شعبه المختار))، لكن من ثم، وبالمساواة مع شعبه، مضى صوب الغريب، وتغرب، ومنذ ذلك الحين لم يقدر بعد أن يبقى ساكناً

(1) يشير نينشه إلى كتاب رينان "حياة يسوع" الذي تظهر فيه هذه الحيلة كتنامٍ يجري وفق قوانين باطنية [p].

في مكان واحد، حتّى إنه أخيراً قد صادف بيته في كل النواحي، هو المواطن العالمي الأكبر، وامتلك من جهته الرقم الأكبر ونصف البشرية.

لكن إله ((الرقم الأكبر))، هذا الإله الديمقراطي بين الآلهة، لم يتحول رغم هذا إلى إله فخور وثني:

لقد استمرّ يهودياً، وإله زوايا.. إله كلّ القراني المعتمّة والأماكن المظلمة، والأحياء الوخيمة، للعالم الكامل!

مملكته العالمية بقيت معدودة، كما قبلاً، مملكة للعالم السفلي، ومصحة، مملكة تحت أرضية - سردابية، مملكة (جيتو)... وبقي هو نفسه، بالغ الشحوب، بالغ الضعف، ومنحطاً... حتّى الأكثر شحوباً بين الشاحبين، أسياد الميتافيزيقيا، أولئك المهُق الأفكار قد تسبّدوا عليه⁽¹⁾.

لقد حاكوا حوله نسيج العنكبوت وقتاً كافياً، حتّى نُوّم مغناطيسياً من حركاتهم، وحتّى انتهى بدوره ليصير إلى عنكبوت⁽²⁾ إلى ميتافيزيقي.

(1) الأمهق أبيض الجلد كالجص، والشعر كذلك عموماً. ويقصد الأفكار الشاحبة التجريدية.

(2) لعباً في الأصل على الكلمات Spinne = عنكبوت، Spinozae = سبينوزا [p]

من الآن ولاحقاً، ينسخ - مُجدّداً - العالم، خارج ذاته. [نموذج اسبينوزا].

من الآن وصاعداً، فإنه يتجلّى مبدئياً هيئته في كينونة كلّ مرّة هي أكثر شحوباً وتجريداً،

يتحول إلى ((مثال أعلى))⁽¹⁾ إلى ((روح مجردة)) إلى ((مطلق)) إلى ((شيء في ذاته)).

انهيار إله وتحطّمه: الله يتحول إلى ((شيء في ذاته))⁽²⁾.

- 18 -

(1) يقول كانط في ((نقد العقل المجرد)): الجدل الاستشراقي الفصل الثالث، المبحث الأول: في المثال الأعلى بصورة عامة: "إنّ ما هو بالنسبة لنا مثال أعلى، كان في لغة أفلاطون، مثلاً أعلى لذهن إلهي، وهو موضوع إفرادي حاضر بالنسبة لركائنه، وهو الأشدّ كمالات من كلّ نوع من الكائنات الممكنة، والنموذج الأصلي لجميع النسخ الظاهرانية" [ترجمة أحمد الشيباني عن دار اليقظة]

(2) الشيء في ذاته عند كانط لا يكاد يختلف عن المثل عند أفلاطون ويكفي أن ننظر في تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ص 113 ترجمة الشيباني قول كانط: "تعرّف ونسلم بوجود شيء آخر وراء الظواهر ليس هو نفسه ظاهرة ونعني به الأشياء في ذاتها"

المفهوم المسيحي عن الله، الله كإله للمرضى، الله كعنكبوت،
الله كروح، هو واحد من المفاهيم الأكثر فساداً حول الله، التي
شُكِّلَتْ فوق الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، لعلّه يُمثِّل المستوى
الأكثر انخفاضاً في مجرى التطوُّر المنحدر لمنطية الآلهة.

الله متدنٍّ ليصير مناقضة للحياة، بدلاً من أن يكون تجليها
الممجَّد، وأزليتها الموطَّدة.

في مفهوم الله، تُعلن وتُذاع العداوة للحياة، للطبيعة، وإرادة
الحياة!

الله صيغةٌ لكلِّ النمائيم الكاذبة عن (الدنيا) ولكلِّ كذبة عن
(الآخرة).

في الله يؤلِّه العدم، وتُقدَّس إرادة العدم.

19 .

واقع أنَّ السلالات العتيقة لأوروبا الشمالية لم تشمِز في ذاتها
مبتكرة للإله المسيحي، لم يشرف مزاياها الدينية، حتَّى لا نتكلَّم
على ذوقها.

لقد كان يجب أن يتخلَّصوا من جهيضم الانحطاط هذا،
الممرض والمتساقط.

ولكن إذا لم يتحرَّروا منه فإنَّه يتقلُّ فوقهم، ذلك أنهم لم
يمتلكوا القوة للتخلص منه: لقد جمَّعوا داخل دوافعهم المرض
والشيخوخة والتناقض؛ ومن حينها لم يعودوا لخلق أيِّ إله.

قراية ألفيتين، ولا حتَّى إله واحد!! إنما وحتَّى الآن، بالمقابل،
وكما عن حقِّ ذاتي، وكأمر ختاميٍّ وأقصى من القوة الخلاقة
للآلهة ومن الروح المبدع المُخلِّق، قد ساد على البشر هذا الإله
المؤسف للتأليهية من الرتبة المسيحية! هذا النغل المنتج من
الانحطاط، المستتب من الصفر، والذي هو مفهوم مناقضة، فيه
قد وُجِدَتْ كلُّ غرائز الانحطاط وكلِّ جبانة، وكلِّ تعب الروح،
صداقها.

20 .

لست أريد بحكمي ضدَّ المسيحية، أن أرتكب إجحافاً ضدَّ دين
قريب منها، ويتفوق عليها بالعدد الأكبر من الرهبان، أعني
البوذية.

كلاهما — كدينين ينتميان إلى العدمية — دينا الانحطاط.

لكنهما يختلفان فيما بينهما بالطريقة الأكثر تمايزاً.

إمّا حدث اليوم إيمان مقارنتهما، فإن نقد المسيحية يدين بالفضل العميق، للحكماء الهنديين.

البوذية مئة مرة أفضل من المسيحية.

إنها تحمل داخل كيائها ميراث عرض المشكلات بطريقة موضوعية وباردة، والمتأني إثر قرون من حركة فلسفية.

مفهوم الله يتم تجاوزه عند ظهوره. والبودية في قراراتها هي الدين الوحيد السليبي بحق الذي يظهره لنا التاريخ، لا بل إنه في نظريته المعرفية (ظاهراتية⁽¹⁾ صارمة) لا يعلن ((الصراع المجاهد ضد الخطيئة))، وإنما، مسلماً تماماً بالحق للواقع، يعلن ((الصراع ضد المعاناة)).

إنه، تاركاً وراءه المخاتلة الذاتية للمفاهيم الأخلاقية، وهذا ما يميزه جذرياً عن المسيحية، يصير — متحدثاً بلغتي — أبعد عن الخير والشر.

الفعالان الفيزيولوجيان اللذان تنهض البوذية وتقوم فوقهما وتأخذهما بالنظر المراقب هما:

(1) هذا يحيل إلى نظرية كانت التي بموجبها يمكن للأشياء فقط أن تُعرف فقط كما تظهر لنا وليس كما هي في ذاتها، أي الشيء في ذاته.

1- قابلية استنارة شديدة في الحساسية، تظهر كقدرة مرهفة للألم.

2- روحنة عتيقة، وحياة بالغة الطول في مفاهيم وسلوكيات منطقية، والتي تحت نطاقها عانت الدوافع الشخصية من التضيق والغبن في نفع الدوافع اللا شخصية.

(كلا الحالتين، على الأقل بعض من قرائني ((الموضوعيين))، وعلى مثال ما أعرف أنا، يعرفونهما من التجربة).

لقد شكلت هذه الظروف الفيزيولوجية أصلاً لانحطاط وتدهور:

ضدّه "بودا" يتقدم بوسائط الصحة، وفي مواجهته يستخدم الحياة في الهواء الطلق، الحياة الجوّالة، البساطة والاختيار في الطعام، الحذر تجاه كل المشروبات الروحية، وذات الحذر من كل الأفعال التي تبتعث الصفراء، وتجعل الدم يغلي... ليس ثمة اهتمام ولا انشغال بال، لا لأجل الذات، ولا لأجل الآخرين. إنه يقتضي أحاسيس، هادئة أو سعيدة.

وقد أوجد تدابير للابتعاد عن الأخرى المناقضة.. لقد فهم الدماثة، والصرورة دمثاً، كمفضل ومحسن إلى الصحة.. والصلاة تغدو مُبعدة، كما الشك. ليس من أمر مطلق، وفوق

الكل لا ضغط، ولا حتى ضمن جماعة ديرية (التي يمكن النكوص والخروج منها).

كل هذه كانت إجراءات لتشديد الحساسية التأثرية الوسيعة. وللسبب عينه، فإنه لا يقتضي صراعاً أيّاً كان ضدّ الذين يفكرون بطريقة مبادعة. وليس تنهض عقيدة بوذا ضدّ أي شيء كما ضدّ مشاعر الانتقام، والكراهية، والضغينة ("العداوة لا تنتهي عن طريق العداوة": هذا هو المثل المؤثر في المشاعر عند البوذية).

بحق: فإنّ هذه المؤثرات الوثيقة تكون كلية هاذة للصحة في نظام تغذية أساسي.

التعب الروحي الذي يصادفه بوذا، والمعبر عنه في ((موضوعية)) بالغة الكبر (وهذا يعني ضعف المنفعة الشخصية، وفقد مركز الجذب، وفقد الأنانية) يحاربه بالتركيز المتشدّد على الفرد، وعلى تلك المنافع الأكثر روحانية.

في عقيدة بوذا، الأنانية الذاتية موضوعة كواجب: الـ "كيف تتحرّر من المعاناة" الذي هو "الأمر الوحيد الضروري"⁽¹⁾ يحدّدان وينظمان كل الحميّة والنظام العقلي.

(لعله يكون سانحاً لنا تذكر ذلك الأثيني الذي صنع حرباً على العلميّة المحضة، ورسم موازاة معه، "سقراط"، الرافع للأثرة الشخصية — ضمن مملكة المشكلات — إلى مستوى الأخلاق)⁽²⁾.

⁽¹⁾ انجيل لوقا 10:41 قاجاب يسوع وقال لها: مرثامثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة* ولكن الحاجة إلى واحد* ونيتشه يستعمله بطريقة.

⁽²⁾ يقول نيتشه في "شفق الأوثان" مشكلة سقراط: 9: لكن سقراط تكهن بأمر آخر. رأى ما وراء الأرستقراطية الأثينية. عرف أن حالته، أن جيلة حالته، ليس بعد حالة استثنائية. والنوع نفسه من الانحطاط يُهيأ يسكون في كلّ الأنحاء: أثينا العجوز تمضي إلى نهايتها. وسقراط علم أن كلّ العالم به حاجة إليه .. إلى علاجه، إلى طيه.. إلى احتيالة الشخصي لأجل حفظ الذات.. عن الطبعة الإسبانية لشفق الأوثان، اليانزا، في مدريد.

هنا العالي يُفهم كما لا يمكن أن يوصل إليه، كعطيّة، كنعمة،
هنا كذلك ينقص العَلَن⁽¹⁾.

المخبأ والركن المظلم هما مسيحيان، هنا يُحتقر الجسد،
وتُرفض مراعاة الصحة بعدها شهوانيّة.

الكنيسة تقاوم حتّى النظافة (المعيار الأول على المسيحيّة
بعد طرد المسلمين كان إغلاق الحمامات العامّة، التي كانت
قرطبة وحدها تملك منها 270 حماماً).

المسيحيّ معنى مؤكد على الفظاظَة والقسوة ضدّ ذاته، وضدّ
الأخرين، وعلى البغضاء ضدّ من يفكرون بطريقة مختلفة،
وعلى إرادة الاضطهاد.

أفكار ظلالية ومهيّجة تشغل المحل الأول. والحالات الأكثر
توقاً إليها، والمعينة بالأسماء الأكثر سموّاً، هي حالات الصرع.
نظام النقشف المختار بهذا طريقة يخدم المظاهر المرضيّة
ويُهيج بشكل فائق الأعصاب.

المسيحيّة عداوة حتّى الموت ضدّ أسياد الأرض وجبابرتها،
وضدّ "النبلاء"، ومنافسة مستترة وسريّة (إنّها لتَهجر الجسد،
وتريد فقط النفس).

(1) بمعنى العمومية.

. 21 .

الظروف التمهديّة للبوذية هي مناخ لطيف، وحلاوة عظيمة
وتحرّر في العادات، وغياب كلّ للعسكرية، وواقع أنّها تملك
بؤرتها في المراتب العليا كما في مراتب العالَمين.

إنّها تتطلّب كفاية قصوى السلام الهادئ، الطمأنينة الساكنة،
والغياب الكلّي للابتغاء. وغايتها قد حُصّلت.

البوذية ليست ديناً حيث يُنتظر هكذا فقط الكمال، بل الكمال
فيها هو العاديّ.

في المسيحيّة تظهر إلى المستوى الأول قبل الكلّ غرائزُ
المخضعين والمضيق عليهم. وإنهم تلك الطبقات الأكثر حطّة
التي تبحث في المسيحيّة عن الخلاص.

هنا كتشاعُل، وكعلاج ضدّ السأم، تُمارس مساعلة الضمير
حول الخطيئة، النقد الذاتي، التحقيق التفتيشي مع الضمير.

هنا الحنين إلى قدير — يدعى الله — يتماسك "عبر الصلاة"
باستمرار واقفاً على قدميه.

المسيحي هو بغضاء لشرف النفس، والفخر، والجبروت. إنه ضد الحرية، وضد التحرر الروحي؛ المسيحي بغضاء معادية للأحاسيس، وضد سرور الأحاسيس، وضد الفرح في النهاية.

22 .

عندما تركت المسيحية مكانها الأول، وطبقاتها الاجتماعية الدنيا، والعالم التحتي للعالم القديم، عندما مضت باحثة عن القوة بين الشعوب البربرية، لم تملك في تنظيمها رجالاً متعبين إذاً، وإنما داخلياً وحشيين مقهورين؛ الرجل القوي إنما الفاشل.

عدم الرضى عن الذات، والمعاناة بسبب من الذات، ليس هو في هذه المنطقة كما داخل البوذية حساسية مفرطة، وقابلية شعور زائدة بالألم، وإنما الأوضح بالعكس، رغبة قوية لتسبب الألم، وتفريغ التوتر الداخلي في أفعال وتخيلات وأفكار عدائية.

وُجدت في المسيحية حاجة لمفاهيم وقيم بربرية لتصير سائدة على البرابرة: كما هي الحال مع التضحية بالبكر، شرب الدم

في المناولة، احتقار النباهة الذهنية والثقافة، العذاب في كل أشكاله، الجسدية⁽¹⁾ والعقلية، والأبهة ذات العظمة للعبادة.

البوذية ديانة الناس المخارين، والأجناس البلهنية التي صارت دمثة لطيفة مفرطة الروحية، وتستشعر الألم بسهولة (إن أوروبا ليست حتى الآن، ولا بأدنى قدر، ناضجة للبوذية).

البوذية إرجاع لهذه الأجناس إلى السلام والغبطة الهادئة، إلى الانضباط الروحي، إلى حالة غير ذات غلظة في الجسد.

المسيحية، بالمقابل، تبتغي التحكم في حيوانات القطيع. ووساطتها لأجل بلوغ ذلك أن تحولهم إلى مرضى.

الإضعاف هو الوصفة المسيحية للـ "التدجين" وللتمتن. البوذية دين لنهاية وتعب المدنية؛ بينما المسيحية ولا حتى تلتقي أمامها بمدنية، وإنها تؤسسها في بعض الأحوال.

23 .

إن البوذية، أقول مجدداً، هي مئة مرة أكثر برودة وأكثر صدقاً وموضوعية.

(1) عبر الحواس.

إنَّها ليست بحاجة لتبرير معاناتها، وحساسيتها تجاه الألم، عبر تأويل الخطيئة. إنَّها فقط تقول ما تفكر به: "أنا أعاني".

عند البربري، بالمقابل، المعاناة في ذاتها غير مقدرة أبداً، وثمة نقص مؤكدة في الإعراب لنفسه بما يعاني (غريزته تشير عليه، بالأحرى، أن ينكر المعاناة، ويحتملها في صمت).

وهنا فإن كلمة "الشيطان" تكون عمل تعزية حقيقية، إذ به يُمتلك عدو جبار ومرهب، وليس ثمة ما يُخجل من مكابدة عدو كهذا.

المسيحية تمتلك في قراراتها بعض المراءات المخادعة التي تنتمي إلى الشرق. وفي المكان الأول تعرف أنه سيان أن يكون أمر حقيقياً أو غير حقيقي، وإنما الأهمية الكبرى تجاه ذلك أن يعتقد المرء بحقيقته.

الحقيقة والإيمان بحقيقة أمر: هما عالمان متضادان من أهميات غريبة إحداهما عن الأخرى؛ شبه عالمين متعاكسين، يقصد كل منهما عبر طريقين مختلفين بالكلية. ومعرفة هذا كان تقريباً خلاصة الحكمة في الشرق: هكذا فهمه البراهمة وهكذا فهمه أفلاطون وكل تلامذة المعرفة الباطنية.

وإذا — كمثال — وُجدت سعادة في الاعتقاد بتحرر من الخطيئة، فإن هذا لا يقتضي كمقدمة منطقية أن يكون الرجل خاطئاً حقاً، بل أن يحسب نفسه خاطئاً.

لكن — فوق الكل — إما احتيج إلى الإيمان فحينئذ يتوجب نفي الثقة بالعقل والمعرفة والتقصي⁽¹⁾؛ والطريق نحو الحق يصير طريقاً ممنوعاً.

الرجاء المكين، هو حافظ أكثر قوة إلى الحياة من أية سعادة حقيقية ممارسة.

من يعانون يجب أن يُسندوا بالرجاء الذي لا يمكن لأي واقع أن يجعله باطلاً، ولا لأي إنجاز أن يرمي به جانباً، إنه الرجاء بالأخرة. (وبالتأكيد، وبسبب هذه القدرة على إسلاء التعساء فإن الأمل والرجاء، بنظر اليونان، يعني شر الشرور، الشر الخوان بحق، وقرارة صندوق الشرور)⁽²⁾ لجعل المحبة ممكنة، يجب أن يصير الله إنساناً، وحتى تبقى تلك الدوافع الأكثر حطة مصانة، يجب على ذلك الإله أن يكون شاباً. ولأجل حمية النساء يجب أن يوضع في الواجهة قديس حلو، وعذراء لأجل الرجال. هذا يوطد الافتراض بأن المسيحية قد طمحت للسيطرة على

(1) هذا علامته في عبارة تورتيانوس: أو من لأنه مستحيل.

(2) الإشارة هنا إلى صندوق باندورا.

بقاع كانت فيها عبادات أفروديت وأدونيس⁽¹⁾ قد عيّنت مفهوم العبادة.

إن ضرورة العفاف تُشدد الحمياً وعمق الدوافع الدينية، لأنها تجعل العبادة أكثر حرارة وتمجداً وحساسية.

الحب حالة فيها الرجل، على الأغلب، يرى الأشياء كما ليست هي. القوة الخداعة هي هنا في ذروتها، بمثل القدرة المعسولة المغيرة للهينة.

من يحبّ يحتمل على العموم أكثر، ويسامح بالكلية.

لقد وجب ابتداع دين يمكن فيه أن تكون ثمة محبة: وهكذا فإنّ المرء يعلو على جميع سوءات الحياة، ولا حتى يشعر بها.

لأنّ هذا يتعلق بالفضائل المسيحية الثلاث: الإيمان، والمحبة، والرجاء. تلك التي أدعوها أنا بالحداقات المسيحية.

(1) لا داعي للإطراب في تفصيل أسطورة أدونيس وأفروديت فهي معروفة. المهم رمزها إلى دورة الطبيعة والجفاف وعودة الخصب. وإنه وإن اختلفت الأسماء بين تموز وأدونيس وأتيس وإيزيس فإنها وكما يقول جيون تنور كلها على ذات العبادة. راجع فريزر جزء أدونيس من كتابه الغصن الذهبي وما فيه من تفاصيل لانتشار هذه العبادة حتى كانوا في هيكل يهوه ينوحون عليه باسم تموز.

البوذية بالغة النضج ووضعيتها على نحو كاف، كيلا يمكنها أن تكون "حكيمه" على هذه الطريقة.

24

هنا فقط أريد أن ألامس مشكلة نشوء المسيحية. والاقتراح الأول لحلّ ذلك يقول: المسيحية يمكن فهمها فقط انطلاقاً من الأرض التي نشأت فيها.

إنها ليست انتهاضاً ضدّ الفطرة اليهودية، بل بالعكس، نتيجتها ذاتها، ومنطقها الهيب مؤدّى به إلى خاتمة لازمة.

وفي وصفة المخلص نفسه: ((الخلاص يأتي من اليهود))⁽¹⁾.

الوصفة الثاني تقول: النمط النفسي للجليلي مع كونه معروفاً، لكنّما فقط في انحطاطه الكياني التام (الذي هو في الوقت عينه بئر وتجسيد لحشد من الملامح الغربية) يمكنه أن يصلح لما لأجله قد كرّس، لأجل نمط من فاد للبشرية.

كان اليهود الشعب الأكثر فرادة في تاريخ العالم، ذاك أنهم تجاه التساؤل عن الوجود أو العدم قد فضلوا باقتناع كلي لا

(1) يوحنا 4:22

يستزعرع الوجود بأي ثمن: وهذا الثمن كان جعل الطبيعة كلها زائفة، وتزييف كل ما هو طبيعي، وواقعي، وتزييف كل العالم الداخلي على ذات طريقة تزييف العالم الخارجي.

راسمين حدًا ضد كل الظروف التي أمكن للشعوب بموجبها أن تحيا، والتي أتاحت لها حتى حينها أن تبقى، خلقوا انطلاقاً من أنفسهم مفهوماً مناقضاً للظروف الطبيعية.

هم قلبوا بالتدريج الدين، والعبادة والأخلاق، والتاريخ وعلم النفس بطريقة لا يمكن علاجها، ومناقضة لقيمتها الطبيعية.

نصادف هذه الظاهرة مرة أخرى، وبظروف واضحة تماماً، مع أنها على كل حال فقط نسخة محضة: الكنيسة المسيحية تفتقر بالمقارنة مع شعب المباركين إلى كل ادعاء بالأصالة. فأكيد بسبب هذا أن اليهود هم الشعب الأكثر شؤماً في التاريخ.

في تأثيرهم اللاحق خلقوا الإنسانية الأكثر زيفاً، حيث مع أنه إلى اليوم يشعر المسيحي بذاته في مناقضة لليهودية، إنما دون أن يدرك كونه النتيجة الأخيرة لليهودية.

في سلالات النسب التي وضعتها للأخلاق⁽¹⁾، قدمت نفسها للمرة الأولى — مفهوم التعارض بين أخلاق أرستقراطية

(1) في كتابه أصل الأخلاق.

وأخلاق حاكمة، وهذه الأخيرة تنبثق من ((اللا)) المعلنة تجاه الأولى: لكن هذا بشكل كامل هو الأخلاق اليهود — مسيحية.

وحتى يكون ممكناً قول لا لكل ما يمثل النشاط المتصاعد للحياة، وللتناغم المفلح، والعزم، والجمال، وتوكيد الذات على الأرض، فإن طبع الحقد، يتحول بدهاء، ليبندع عالماً آخر انطلاقاً من إظهار ذلك التأكيد للحياة كشر، وكأمر مستهجن في ذاته.

منطلقاً من منظور نفسي، فالشعب اليهودي هو شعب ذو قوة حيوية متعنتة، والذي إذا وجد تحت ظروف غير محتملة، انحاز بعزم، انطلاقاً من قرارات ذكائه، إلى حفظ ذاته، وإلى كل غرائز الانحطاط، لا كمحكوم بها بل لأنه توسم فيها قوة تعينه كي يفرض وجوده تجاه العالم.

اليهود هم في المكان المعاكس لكل المنحطين: لقد أمكنهم أن يمثلوا دور المنحطين حتى نقطة خلق الوهم بأنهم منحطون، وقبروا مع اللا المنكرة للأخرة، يعلنها ممثل عبقر، أن يضعوا أنفسهم في رأس زاوية كل حركات الانحطاط (كمسيحية بولس) لكي تمتلك القدرة على أن تخلق منهم شيئاً أكثر قوة من أي مذهب آخر يؤكد الحياة.

عند هذا النمط من الناس الذين — في المسيحية واليهودية — يستوفون إلى القوة عبر طريقة كهنوتية: فإن الانحطاط هو فقط وسيلة.

هذا النمط له مصلحة حيوية في جعل البشرية مريضة، وفي قلب مفاهيم ((خير)) ((شر)) ((حقيقي)) ((باطل)) بشكل خطر على الحياة ومفتّر على العالم.

25 .

تاريخ إسرائيل يملك قيمة لا تقدّر كتاريخ نمطي لتغيير طبيعة القيم الطبيعية؛ سأسير إلى خمسة أعمال في هذا. بدنياً، وقبل أي شيء في أزمان الملوك، إسرائيل ساندت علاقة صحيحة مع كل الأشياء، هذا يعني علاقة طبيعية، "ويهو — هم"، كان تعبيراً عن ضمير القوة، وعن الفرح ذاته، وعن الأمل المكنون فيه: منه يُنتظر النصر والخلاص، ومعه يُوثق بالطبيعة كي تعطي الشعب ما يحتاج إليه؛ وفوق الكل المطر. "يهو" هو إله إسرائيل، بالنتيجة إله للقضاء: هذا هو المنطق لكل شعب في حالة قوة ويمتلك إدراكاً جيداً بهذه القوة.

في احتفالات العبادة تجلّى هذان المظهران لتأكيد الذات عند الشعب:

إنه مغتبط وممتنّ بالأقدار الكبيرة التي بفضلها قد امتلك القوة، وممتنّ لاتصاله بتتابع الفصول وتوفيقه في تربية المواشي وفي الزراعة.

حالة الأشياء هذه بقيت لزمن طويل معتبرة كمثال، وكذلك عندما صارت زائلة بطريقة محزنة: بسبب الفوضى في الداخل وبسبب الآشوريين من الخارج. لكن الشعب بقي يغذي كربة قصوى (وأمل أسمى) رؤيا ملك هو جندي حقّ وحكم صارم. وبالإضافة إلى ذلك احتفظ بذلك النمط النبوي (والذي يعني الانتقاد والتفريع في الحال) والذي يدعى /شعيا/.

لكن كل الانتظار بقي غير مرض. الإله قد هزم ولم يعد يقتدر بعد أن يفعل شيئاً ممّا كان قبلاً مقتدراً على فعله. لقد وجب أن يترك شأنه. ماذا حدث؟ مفهومه تغيّر — وبذلك طبيعته — وبهذا الثمن استمسك به.

يهو إله القضاء لم يعد بعد كوحدة مع إسرائيل وكتعبير عن الشعور الذاتي لشعب، لكن فقط كإله مشروط بالأحوال.

مفهومه تحول إلى أداة في أيدي الكهنة المثيرين للفتنة، الذين من الآن وصاعداً، فسروا كل سعادة كأنها ثواب وكل نكبة

. 26 .

لم يتوقف الكهنوت اليهودي عند تزييف مفهوم الله، ومفهوم الأخلاق، بل أيضاً:

"لا يمكننا أن نستفيد من كل تاريخ إسرائيل، فلنرمه بعيداً".
هكذا قال هؤلاء الكهنة.

وهؤلاء الكهنة يحققون تلك الأعجوبة التزييفية التي نجد شهادتها تشكل جزءاً كبيراً من التوراة:

لقد ترجموا إلى ديني "ماضي شعبهم، باستخفاف لا شبيه له بكل تقليد، وبكل واقعية تاريخية؛ بمعنى أنهم عملوا منه آلية غيبية لخلاص مؤسس على العقاب الذي ينزله يهوه بمن أخطأوا إليه، وعلى المكافأة التي تثبت وتعزي أولئك الذين يطيعونه.

ولسوف نشعر بهذا الفعل من التزييف المخزي للتاريخ، بطريقة أكثر إيلاماً، إما لم يكن التأويل الكنسي للتاريخ عبر القرون قد جعلنا لا مبالين تجاه مستلزمات القضايا التاريخية.

إن الفلاسفة يقدمون عونهم للكنيسة: إن كذبة ((النظام الأخلاقي للعالم)) تتسرب عبر كل تدرج الفلسفة حتى أحدث الفلاسفة.

ماذا يعني ((النظام الأخلاقي للعالم))؟

كعقاب لعدم الطاعة لله، ونتيجة للخطية؛ تلك الطريقة التي هي أساساً الأكثر خداعاً في التأويل، وفي افتراض ((نظام أخلاقي للعالم))، بهاء، ودائماً، تغيير المفهوم الطبيعي للـ ((سبب)) و((التأثير)).

إما أبعدت — بواسطة المكافأة والعقاب — المصادفة الطبيعية عن العالم، فحينها يُحتاج إلى مصادفة مضادة للطبيعة، منذ الآن كل ما هو مضاد للطبيعي يتبعها.

وهكذا فمكان الإله الذي يساعد، والذي يحل كل مصعبة، ويشير، والذي هو في جوهره يجسد الفعل لكل سعادة ملهمة في الإقدام، وفي الثقة بالنفس، يحل إله ملزم..

الأخلاق لم تعد بعد تعبيراً عن ظروف حياة ونمو شعب، وليس بعد تمثيلاً لغرائزه الحيوية الأكثر عمقاً، وإنما تحولت إلى شيء مجرد، وإلى سوء أساسي في التخيل، إلى ((عين شريرة)) تجاه كل شيء.

ما هي الأخلاق اليهودية، ما هي الأخلاق المسيحية؟
المصادفة تضيق براءتها، والحياة ذات الوفرة تظهر كخواية خطيرة، والجسد المعتل يُسمم بالدودة القارضة، للضمير المؤنب.

يعني أنه — من بدء الأمر — يوجد إرادة إلهية تعين ما الذي يجب أن يفعله الإنسان وما لا يجب أن يفعله، وأن قيمة شعب أو شخص، في كثير أو قليل، تقاس بمقدار ما تطاع الإرادة الإلهية، وأن في مصير شعب أو شخص، تظهر الإرادة الإلهية كمحاكم، أي كمعاقب أو مجازي، وبحسب درجة الطاعة.

الواقع الكامن وراء هذه الكذبة المؤسفة يعني: ضرباً من البشر المتطفلين، يُفلح وحده في تقييم كل الأشياء المقدسة للحياة. الكاهن يسيء استعمال اسم الله ويذنسه: يدعو ((مملكة الله)) حالة الأشياء حيث يقرّر هو قيمتها، و((إرادة الله)) تلك الوسائل التي بها يُحصل ويحتفظ بتلك الحالة.

وبكثيرة ذات دم بارد، يحكم على الشعوب والأزمان والأشخاص بمقياس مساعدتها أو عرقلتها للسيادة الكهنوتية.

ليس ثمة ما نلاحظه أكثر من عمل أولئك الكهنة:

تحت يد الكهنة اليهود، فإن الحقبة العظيمة من تاريخ إسرائيل تحولت إلى فترة انحطاط.. النفي من مصر، والمصائب المتطاولة شكّلت بهيئة عقاب أبدي للفترة العظيمة التي كان فيها الكاهن لا يساوي شيئاً.

هم حولوا تلك الشخصيات القديرة والعظيمة الحرية في تاريخ إسرائيل (وبحسب الضرورة) إلى منافقين بانسين

ومرائين، أو ((كافرين)). لقد بسطوا ذاتية كل الأحداث العظيمة، مضائلين إياها في صيغة بلهاء: ((إطاعة الله أو عدم إطاعته)). خطوة أخرى بعد على هذا الطريق: إرادة الله — وهي تعني الظروف التي بموجبها تبقى سطوة الكهنة موطّدة — يجب أن تُعرف. لأنه من أجل هذه الغاية يجب أن يوجد ((تنزيل)).

بالألمانية الواضحة: وجدت حاجة إلى أدبيات مزورة، وإلى اكتشاف ((كتابات مقدسة))، وفي ظلّ أبهة طقسية عارمة تُنشر، في أيام كفارة ومع صرخات مُعولة في شكوى من الخطيئة المتطاولة⁽¹⁾.

إرادة الله بقيت ثابتة عبر زمن طويل، لكن المصيبة الناكبة كانت أن الشعب بقي مبتعداً عن الكتابات المقدسة.

لموسى قد كشفت ((إرادة الله)).. ماذا حدث؟

بتشدد وبتنطع صاغ الكاهن حتى كل كبيرة وصغيرة من الفرائض التي يجب أن تقرّب، (دون نسيان قطع اللحم الأطيب، ذاك أن الكاهن هو أبداً أكالُ بفتيك نهم) وما يريد أن يكون، هو ((إرادة إلهية)).

مذّاك، كل أمور الحياة تغدو منظمة بهذه الطريقة التي تجعل الكاهن ضرورة لا غنى عنها.

(1) يقصد ما فعله عزرا.

في كل مكان، في كل أحداث الحياة الطبيعية، في الولادة، في الزواج، في المرض، والموت، حتى لا نتكلم عن الذبيحة (التي للأكل)، يظهر المتطفل المقدس لينزع عنها سماتها الطبيعية: - ((يقدّسها))!

لأنه يجب أن نفهم هذا: كل عادة طبيعية، كل تنظيم طبيعي (الدولة، المحكمة، الزواجات، تجنب المرض والفقر) كل ضرورة نابعة من غريزة الحياة، وفي النهاية، كل ما يملك قيمة في ذاته، يُغيّر عبر تطفل الكاهن (أو عبر "النظام الأخلاقي للعالم") إلى شيء يفتقد أساساً إلى القيمة، أو أنه يضادّ القيمة.

ومن ثمّ فثمة حاجة إلى تصديق، وضرورة لمقتدر مقيم، هو منكر للطبيعة ورافض لها في تلك الأمور، وخالق بالتأكيد لقيم الكاهن لا يقيم وزناً للطبيعة ولا يقدرها. بهذا الثمن عموماً يبقى.

مخالفة الله، وهذا يعني مخالفة الكاهن والشرعية، تُوصم الآن باسم ((الخطيئة)).

وسائط العودة للوفاق مع الله، هي بكل وضوح، وسائط يبقى معها الخضوع للكهنة الضمانة الأكثر عمقاً: وحده الكاهن ((يخلص))...

منطلقاً من تقييم نفسي، فإنّ ((الخطايا)) عند كل شعب منظم كهنوتياً تغدو أمراً لا غنى عنه وضرورياً.. تلك الخطايا هي الأدوات الحقيقية لبلوغ السلطة، والكاهن يحيى من تلك الخطايا، ويحتاج إلى أن يوجد خطأ.

مبدأ أعلى: ((الله يغفر لمن يكفر عن ذنوبه))؛ وبقول أكثر وضوحاً: يغفر لمن يخضع للكاهن.

27 .

فوق أرضية زائفة إلى هذا الحد - حيث كل الطبيعة، وكل قيمة طبيعية، وكل واقعية، تجد إزاءها، كضد، الغرائز الأكثر عمقاً لجنس متحكم - ترفع المسيحية شكلاً من بغضاء خالدة تجاه الواقعية بطريقة لم يتفوق عليها حتى الآن.

((الشعب المقدس)) الذي تجاه كل الأشياء يحتفظ فقط بقيم كهنوتية وكلمات كهنوتية وبمنطق متماسك يمكن أن يلقي خوفاً، يفصل عن ذاته - ك - ((لا مقدس)) وك - ((عالم دنيوي)) وك - ((خطيئة)) - كل تلك القوى التي مازالت فوق الأرض.

هذا الشعب يستسيغ لدوافعه صياغة أخيرة، منطقية حتى إنكار الذات:

لقد رفض — كمسيحية — حتى الصياغة الأخيرة للواقع، الشعب المقدس، شعب المختارين، أي ذات الواقع اليهودي.

هذه القضية هي من الدرجة الأولى: إن الحركة المنفضة السائرة الصغيرة، معمّدة تحت اسم يسوع الناصري، هي مرة أخرى الغريزة اليهودية، وبمصطلح آخر، غريزة الكاهن التي لم تعد تحتل الكاهن كحقيقة؛ هي الاقتناع بشكل وجود أكثر تجريداً، وبروياً أكثر لا واقعية للعالم، وهي لواقعية تجاوز تلك المتضمنة في تنظيم كنيسة: المسيحية تنكر الكنيسة.

لست أعرف ضد من وجه ذلك التمرد الذي يعدّ يسوع — صواباً أو خطأ — سبباً له، إن لم يكن تمرداً ضد الكنيسة اليهودية معطياً للكنيسة بالضبط المعنى الذي نتناوله اليوم في هذه الكلمة. كان تمرداً ضد ((الصلاح والعدل)) ضد ((قديسي إسرائيل)) ضد زعامات المجتمع؛ ليس ضد فساده، بل ضد السلالة، ضد الامتياز، ضد التنظيم، والصياغة، كان شكاً بالإنسان الرفيع، وقولة لا في وجه كل الكهنة والربّانيين.

بيد أن الزعامة التي وضعت هكذا في موضع الشك والحكم عليها، مع أن هذا كان للحظة، كانت: الكوخ المرفوع للشعب

اليهودي فوق المياه، والإمكانية الأخيرة العسيرة للتمسك بالبقاء، وبقية وجوده السياسي الخاص المتشبث.

إن هجوماً عليها كان هجوماً على الغريزة الأكثر عمقا للشعب، وعلى الإرادة العنيدة للحياة في شعب لم يوجد له نظير أبداً فوق وجه الأرض.

هذا الفوضوي القديس الذي دعا أسافل الشعب إلى الانقلاب على النظام المسيطر، ودعا المنبوذين و((الخطاة)) والطبقات الدنيا اليهودية — وبلغة، هي في حال التصديق للإنجيليين، تقود حتى في يومنا هذا رجلاً للنفي إلى سيبيريا — كان مجرماً سياسياً، حتى بالقياس إلى أن الجرائم السياسية كانت محتملة داخل مجتمع هو بالإطلاق غير سياسي.

هذا ما أوصله إلى الصليب، والإثبات عليه كان اللافتة المعلقة فوق الصليب: مات بسبب خطيئته.

ليس ثمة سبب للاعتقاد — مع تكرار تأكيد هذا — أنه قد مات بسبب خطايا الآخرين.

حكايات القديسين هي الأدب الأكثر التباساً وضلالة الذي
يمكن أن يوجد!

باستخدام المنهج العلمي، وفي غياب أية شهادات أخرى،
تبدو لي أمراً محكوماً مسبقاً:
إنها مضیعة وقت محضة للفقهاء.

29

ما يهمنى هو النمط السيكلوجي للفادي.
وهذا النمط أمكنه الظهور في الأنجيل رغماً عنها، حتى لو
شوه وأثقل بالقسمات الغربية التي للأنجيل: ذاك كما شخصية
"سان فرنسيسكو دي أسيز" التي يظهر بها في خرافاته رغماً
عن تلك الخرافات.

ليس ما يهمنى حقيقة ما فعله يسوع، وما الذي قاله، وكيف
مات في الواقع، وإنما يهمنى إن كان نمطه إلى الآن ممكن
التخيل والإدراك، والانتقال بالتقليد.

تلك المحاولات التي أعرفها بدءاً من قراءة الأنجيل حتى
قصة ((نفس)) تبدو لي دلائل لنفسية طائشة مستكرة.

28

ثمة سؤال مختلف بالكلية: إن كان هو حقاً مدركاً وواعياً
لهكذا مناقضة، أو أنه ببساطة قد عُدَّ كمناقضة.

وإنني لألمس هنا فقط، المشكلة النفسية للفادي..

وأعترف بأنني لم أقرأ سوى كتباً قليلة صعبة كما الأنجيل.
وهذه الصعوبات هي بعيدة في طبيعتها عن تلك الصعوبات التي
بخاصة التذليل عليها، فإن الاستطلاع المثقف للذهنية الألمانية قد
أفلح في إحراز واحد من انتصاراته التي لا تنسى.

بعيدة هي الحقبة التي فيها أنا أيضاً، كما بقية الشباب المتعلم،
تذوقت بعقلية ذكية متأنية لفقير لغوي حبيب عمل "شترابوس"⁽¹⁾
الذي لا يضاهي. كنت يومها في العشرين من عمري: واليوم أنا
بالغ الجدية تجاه هذه الأمور. فبأي شيء تهمني مناقضات
التراث التقليدي؟ وكيف استطاع أن تدعى خرافات القديسين تلك
تقاليد؟

(1) في عام 1864 قرأ نييتشه بحماسة في بون "حياة يسوع" (6-1835)

تأليف دافيد فريدريك شترابوس، اللاهوتي واليهودي اليساري [P].

السيد رينان، هذا المهرج النفساني، أضاف المفهومين غير الملائمين، الممكن تخيلهما في هذا الصدد حول التفسير المتعلق بنمط يسوع: مفهوم العبقري، ومفهوم البطل.

لكن إن وجد ثمة مفهوم لا إنجيلي فذاك هو مفهوم البطل. وبقيناً، فإن المضادة لكل صراع، ولكل شعور ذاتي بالصراع تحول هنا إلى غريزة وطبع: العجز عن المعارضة والمقاومة ينقلب هنا أخلاقاً. ("لا تقاوم الشر" تلك هي الحكمة الأكثر عمقاً في الأناجيل، ومفتاحها، بمعنى مؤكد).

المسرة في السلام، والوداعة، وفي عدم القدرة للصيرورة معادياً.

ماذا تعني البشارة؟

الحياة الحقيقية، الحياة الأبدية، توجد — لا كوجود حق — هنا في نفوسنا:

كحياة في المحبة، في المحبة بلا تحفظات، بلا شروط وبلا استبعادات.

الجميع هم أبناء الله — ويسوع لم يدع شيئاً لذاته على الإطلاق — وكل رجل هو كابن لله مساوٍ لكل رجل آخر. جعل يسوع بطلاً وأي فهم سيء تشير به الكلمة ((عبري))!

كل مفهومنا، كل مفهوم حضارتنا عن ((العبرية)) لا يملك أي معنى في العالم الذي عاش فيه يسوع.

وللتكلم بصراحة عالم بوظائف الأعضاء، فالأكثر صواباً أن تكون بدل كلمة عبري كلمة مختلفة كلياً: كلمة معنوه.

نحن نعرف حالة من سرعة التهيج المرضي لحاسة اللمس، حيث يرتجف ويرتد أمام أية ملامسة، وأمام فكرة إمساك أي شيء صلب.

إن عادة فيزيولوجية كهذه تترجم إلى نهايتها المنطقية، كغريزة بغض ضد كل واقعية، كهروب إلى مالا يُعرف وإلى مالا يمكن فهمه، ككره لكل صياغة، ولكل مفهوم للزمان والمكان، كضد لكل ما هو صلب، معتاد، منظم، كنيسة، وكشعور ذاتي بأنها في منزلها عندما تكون في عالم غير ملموس بأي نوع من الواقعية، عالم فقط هو ذاتي جواني، عالم ((حقيقي!))، عالم ((سرمدي))... "ملكوت الله داخلكم"⁽¹⁾.

⁽¹⁾ في لوقا 17:20-21 "ولما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتي ملكوت الله بمراقبة* ولا يقولون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك لأن ها ملكوت الله داخلكم* ولكن بعض القراءات تورد بينكم أو قريب منكم، ونعرف أن المعتقدان ويسوع كانا يعظان باقتراب الملكوت.

. 30 .

الكره الغريزي للواقع: نتيجةً لقدرة متطرفة للمعاناة والتهيج، التي لا تريد إطلاقاً أن تكون ملموسة، لأن أي تماس مع الواقع ولمس، يؤدي إلى شعور مفرط وردّ فعل عميق.

الاستبعاد الغريزي للتبعض، ولكلّ عداوة، ولكلّ محدودية وتجاّف في المشاعر: ينتج من قابلية متطرفة للمعاناة والتهيج، والتي تشعر بكلّ مقاومة، وبكلّ ضرورة للمقاومة، كمنافاة للمسرة لا يمكن احتمالها (هذا يعني: كضرر وتهوّر معاكس في غرائز حفظ الذات) وتترك الغبطة الممجّدة فقط كتحقّق في عدم المقاومة لأيّ شيء أو لأيّ أحد، لا للمصيبة ولا للشر، وتترك المحبة كإمكانية وحيدة وأخيرة للحياة.

هذان هما الواقعان الفيزيولوجيان اللذان فوقهما وبهما نمت عقيدة الخلاص: إنني أدعوها تطوّراً رفيعاً لمذهب اللذة⁽¹⁾ فوق أرضية ممرضة بالكلية. وبقرابة باطنية معها، ورغم الدعم

(1) عقيدة بحسبها سعادة ومقصدية الفرد، وبذات الأمر معيار الأخلاق عموماً، توجد فقط في الشعور باللذة.

المقوّي من الحيوية والطاقة العصبية اليونانية، تقوم الأبيقورية⁽¹⁾ التي هي عقيدة الخلاص الوثنية.

أبيقور كان منحطاً نمطياً: لقد كنت الأول في معرفة كيف كان. إنه الخوف من الألم حتّى من أضالّ قدر من الألم. وهذا المذهب لا يقدر أن ينتهي بأيّة طريقة إلّا إلى ديانة المحبة.

. 31 .

لقد قدّمت فيما سلف جوابي عن المسألة.

وقد تأسس الجواب على هذه المقدمة: أنّ شخصيّة المخلص قد وصلت إلينا متحوّلة الشكل بقوة. وهذا التحوّل الشكلي تقوم فيه احتمالية كبيرة: فلأسباب عدّة فإنّ هكذا شخص لا يقدر أن يبقى نظيفاً، كاملاً، حرّاً من التزيّجات.

وكما كان الوسط الذي تحرك فيه ذا هيئة غريبة، وكذلك، فوق الكلّ، التاريخ وطبيعة الجماعات البدئية المسيحية، كان

(1) يذهب أبيقور إلى أنّ اللذة أساس السعادة. ولكنها تلك اللذة غير المعقوبة بالآلم وعلى هذا تقتضى الحكمة. لكن ومادام أبيقور يرى في اللذة خيراً طبيعياً أصيلاً فإنّ الكنيسة رفضته باعتبار هذا الفزوع نزوعاً دنيوياً، لكن ما يقوله نيتشه هنا يلقي ضوءاً من جهة أخرى على المسألة بينهما.

واجباً أن تترك آثارها فيه، فلقد انعكست هذه الطبيعة فوقه، وأعطته سمات كان ممكناً أن تترك فقط في الصراع وفي مرامي الدعوة.

ذلك العالم العجيب والمعتل الذي تدخلنا إليه الأنجيل — عالم كما لو أنه متأق من رواية روسية، حيث تبدو قد تلاقت رذالة المجتمع والعاهات العصبية، والبلاهة "الطفلية"⁽¹⁾ — وجب على كل حال أن يترك ذلك الشخص أكثر رعاية وخشونة:

أولئك الرسل الأوائل، على وجه الخصوص، ترجموا إلى جلافتهم وجوداً يعوم كلية عبر الرموز والأشياء غير الممكنة الفهم، وذلك للتمكن من فهم شيء عنه.

وعندهم أن نمط المخلص فقط يوجد بعد أن يتمكن من التواؤم شكلياً مع هيئات معروفة أكثر... النبي، المسيح، الحكم الآتي، معلم الأخلاق، صانع المعجزات، يوحنا المعمدان، كانوا كذلك إمكانات لعدم التعرف عليه والخطأ في صورته.

لسنا نستهيّن في النهاية، بما هو خاص بكل التوقيرات الكبيرة، وبالأخص بما للتعبّيات: إنها تمحو من الموجودات المحترمة الملامح والمميزات الأصلية، التي غالباً تكون مضنية الغرابة، بل إنها ليست حتى تراها.

(1) إشارة إلى رواية الأبله (1868) لديستوفسكي.

مما يؤسف له أن دستوفسكي لم يحي قريباً من الأكثر إثارة بين كل المنحطين؛ أعني بعض من يمكنه أن يدرك الشعور المؤكد بالتأثير الجاذب لخليط من الرفعة والمرض والطفولية.

نقطة أخيرة للنظر: هذه الشخصية فيما يتعلق بالانحطاط، يمكنها أن تكون بالفعل متصفة بتعددية ومناقضة فردية، وهكذا إمكانية لا يمكن أن تستبعد بالكلية. مع ذلك كل يغرينا باطراح هذا وبكل تأكيد، فإن التقليد يجب أن يكون في هذه الحالة، وبتميز، أميناً وموضوعياً، بينما نمثلك أسباباً لافتراض العكس، بحق.

وسراعاً ما تظهر مناقضة بين المبشر في الجبال والبحيرات والسهول ذي الهيئة المدانية لبودا فوق أرض أبعد ما تكون عن الهندية فتعطي تأثيراً غريباً، وبين ذلك المتشدد المهاجم، العدو اللدود للرّبانين والكهنة، والذي مجده خبث رينان بوصفه ((المعلم الأكبر في الاستهزاء))⁽¹⁾.

شخصياً، لست أشك أن هذا القدر الوافر من الصفراء (وكذلك الأمعية) قد صبّ فوق شخصية المعلم من قبل الهمة المهاجمة للتبشير المسيحي: لقد صار معلوماً تماماً، النقص في

(1) شاهد من رينان "حياة يسوع" 1863 [P]

التدقيق المتحرّج عند كلّ المتعصبين الروحيين عند تنظيم "دفاعهم" من خلال المعلم.

عندما كانت الجماعة الأولى محتاجة، ضدّ علماء اللاهوت، لللاهوتي متشدّد، حماسي، غضبي، لودعي الكلام بتخايب، فإنّها خلّقت "إلهها" تبغ حاجاتها، وبذات الطريقة وضعت في فمه، دون أدنى تردّد، تلك المفاهيم، التي هي كليّة لا إنجيليّة، والتي لا يمكن اجتتابها والاستغناء عنها: كمفهوم "العودة" و"الدينونة الأخيرة" وكلّ صنف من الآمال والوعود الزمنيّة.

32

أعارض بالبحاح، مرّة أخرى، فعل تضمين "المتعصب" في شخصيّة الفادي المخلص:

تلك الكلمة الوحيدة ((المتعجرف)) يستخدمها رينان تكفي بذاتها لإلغاء تلك الشخصيّة.

تقوم البشارة، بالضبط، على أنّه ليس ثمة تعارضات، وعلى أنّ "مملكة السماوات" خاصة الأطفال.

الإيمان المستشعر هنا ليس إيماناً مكتسباً عبر الصراع وفي المعركة، إنّما يوجد عبر مبدأ، وإنه يقول أكيد صبيانيّة مرتدة صوب الحقل الروحي ومتعلق به.

حالة البلوغ المتأخّر وغير النامي في العضوية، كنتيجة للتّنكّس الجسدي، هي حالة مألوفة، على الأقل عند الفيزيولوجيين.

هكذا إيمان لا يحتدم ولا يقرّع، ولا يقاوم، وليس يمسك (بالسيف)، ولا حتّى تراوده فكرة أن يتمكّن يوماً من أن يبعد بين الناس. وإنه ليس يثبت ذاته لا عبر العجائب، ولا عبر المكافأة، ولا الوعود المؤمّلة ولا بالأدنى عبر ((الكتاب المقدّس)): هو ذاته في كلّ حين عجيبته، مكافأته، وتوكيده، و"مملكة الله".

هذا الإيمان لا يصوغ ذاته البتّة، وإنه ليحيا ويحامي عن ذاته بدفع الصياغة عنها.

في الواقع، فإنّ تقلبات المحيط واللغة والتكوينات التربوية السابقة تشكّل دائرة مؤكّدة من المفاهيم: المسيحيّة الأولى تستخدم فقط مفاهيم يهود — ساميّة (وكمثال فإنّ الأكل والشرب في العشاء السريّ تشكّل جزءاً من هذه المفاهيم، والتي كحال كلّ يهودي، فإنّ الكنيسة تستعملها بطريقة بالغة السوء).

ولكن يجب الحذر من أن يرى في تلك المفاهيم أكثر من لغة رمزية، أو أكثر من سيميائية، أو حالة تتيح التعبير من خلال استعمال الاستعارات.

إن واقعة عدم أخذ الكلمة حرفياً، هو عند أولئك المضادين للواقع، هو بالضبط الطرف الأولي للتمكن من الكلام عموماً. بين الهنود استعملت الأفكار السخية⁽¹⁾. وبين الصينيين أفكار لاوتسو⁽²⁾، دون الشعور بأدنى تخالف.

(1) تعني السامخيا العدد، وفيها مثلاً العناصر الأربعة والعشرين التي تتألف منها المادة. هذا المذهب قد وجد عرضه المنهجي في السامخيا - كاريكا العائد إلى القرون الأولى بعد أوغسطس. وقد تخلّى المذهب عن الوحدانية البرهمانية وقرّر وجود ثنائية أزلية: مادية وروحية. وهذا ما يشكل تناقضاً في الفكر الهندي المنكر في عمومه للعالم، وإن حاول الإبقاء على النفس.

(2) الستاوية تشكل في الصين خروجاً عما في فكر الصين عموماً من لا روحانية سرّية صوفية. فكونفوشيوس لم يكن نبياً - وهذه عظمتة وعظمة الصين معه - بل معلماً. أما لاوتسو فيعرض في التاوتى كتغ عقيدته الروحانية، إذ التاوت هو المطلق، السرّي بالمطلق، هو الخفي غير المعروف باسم، الذي لا يسبر له غور ولا يتصور أو يمكن تخيله. والفضيلة الخاصة بالستاوية هي فضيلة السلوك في الطريق السرّي للخلاص. وما أشد تناقض التاوت مع ذهنية الصين، فليس غريباً أنه بقي على الهامش.

يمكن تسمية يسوع، مع ضرب من التسامح في التعبير، بـ "الروح الحر"، فلا شيء ثابت وعقيدي يهّمه: الحرف يقتل، كل ما هو ثابت نهائي يقتل.

إن مفهوم خبرة الحياة، كما فقط يعرفه هو، هو في مناقضة لكل شكل من الكلام، والصياغة، والقانون، والإيمان والعقيدة. إنه يستكلم فقط على ما هو باطني قلبي: ((حياة)) ((حق)) ((نور)) هي كلماته التي تعبّر عما هو أكثر عمقاً باطنياً⁽¹⁾. كل ما يبقى، كل الواقع، كل الطبيعة، اللغة ذاتها، ليست تمتلك عنده إلا القيمة التي لإشارة، ولمثل.

عند هذه النقطة ليس حسناً، ولا بأية طريقة، الوقوع في الخطأ، حتّى مهما يكن كبر الإغراء الموجود في الحكم المسبق المسيحي، أعني، الكنسي: إن رمزياً كهذا، بامتياز، يوجد خارج الدين، خارج مفاهيم العبادة، وخارج كل الكتب وكل فن. كل حكمته تقوم على أن الاعتقاد بأن أشياء كهذه هي موجودة، حماقة صرف.

الحضارة غير معروفة حتّى سماعاً، وليس ثمة ضرورة توجب عليه أن يحاربها، وأن ينكرها.

(1) إنجيل يوحنا 14: 6 قال له يسوع: أنا هو الطريق والحق والحياة" كذلك "أنا نور العالم!"

إن الخطيئة ملغاة، وأية نسبة مباحدة تراثية بين الله والبشر. يقيناً هذه هي بشارة "العهد الجديد"، السعادة ليست وعداً، وغير مرتنة بالظروف؛ إنها الحقيقة الوحيدة، وكل ما عداها يبقى إشارات للحديث عنها والدلالة عليها.

ناتج هذه الحالة يتجلى في ممارسة جديدة، ممارسة إنجيلية بحصر المعنى.

ليس "الإيمان" هو الذي يميز المسيحي: الفعل المسيحي يُمارس بنمط مختلف من الفعل؛ إنه ل يتقدم بمقاومة لمن يسيء إليه، ولا حتى بواسطة الكلمات، ولا في قلبه، وليس يمايز بين الغرباء والأذنين، بين اليهود وغير اليهود. (القريب حقاً هو الأخ في الإيمان، اليهودي). ليس يزعل من أحد، ولا يحتقر أحداً أو يزدريه، إنه ليس يرى في المحاكم، ولا يتقاضى فيها (لا تحلف)، لا ينفصل عن امرأته تحت أي ظرف، ولا حتى في حالة الخيانة المثبتة عليها.

إن كل ذلك في أساسه مبدأ واحد، والكل نتائج دافع واحد. حياة "المخلص" لم تكن شيئاً آخر غير هذه الممارسة، وكذلك كان موته.

ليس ثمة حاجة فيه إلى صيغ وطقوس في علاقاته مع الله، ولا حتى ثمة حاجة إلى صلاة. ولعله صارف نظره عن كل

نفس الأمر يقال عن الدولة، والنظام والمجتمع المدني، والعمل والحرب: إنه لا يملك أبداً دافعاً واحداً لإنكار ((العالم))، أبداً لا يملك أدنى فكرة عن المفهوم الكنسي للـ ((العالم)). الإنكار بشكل أكيد وبالكلية، غير ممكن عنده.

بالمثل ثمة نقص في التماز الجدلي، وفي التفكير بأن إيماناً و((حقيقة)) يمكنهما أن يكونا مثبتين بالحجج (أدلتها: "أنوار" داخلية، مشاعر باطنية بالمسرة وتأكيدات الذات الداخلية، وبالأخص "دلائل القوة").

هذه العقيدة لا تقدر حتى أن تأتي بقول مناقض، ولا تدري إن وجد أو يمكن أن يوجد عقائد أخرى، ولا يمكن أن تتخيل، بأي طريقة، شكلاً آخر معاكساً للحكم الذي لها، وحيث تصادفه فإنها في أعماق شعورها تأسى لذلك العمى — ذاك أنها هي التي ترى النور.. غير أنها لا تشكل أية معارضة البتة.

33 .

في كل السيكولوجيا "الإنجيلية" ثمة غياب لمفهوم الخطيئة والعقاب، وكذلك الأمر مع مفهوم الجزاء.

العقيدة اليهودية في التفكير والمصالحة. عارفاً أنه فقط عبر الحياة الممارسة يمكن للإنسان أن يختبر "الإلهي" "المجيد" الإنجيلي" ودائماً "كابن لله".

الطريق إلى الله ليس "المغفرة" ولا "الصلاة من أجل الغفران". الممارسة الإنجيلية هي، يقيناً، الله.

ما يلغي ويبطل مع الأناجيل هو اليهودية بمفاهيم "الخطيئة" "مغفرة الخطايا" "الإيمان" "الخلاص عبر الإيمان" — كل العقيدة الكنيسية اليهودية ألغيت في البشارة الجديدة.

الغريزة العميقة للكيفية التي يجب أن يعاش فيها لأجل الشعور "بالمجد السماوي" "بالخلود"، في حين ولا بأي سبيل آخر يستشعر المرء أنه في ذلك "المجد السماوي"، هذا هو فقط النفسية الحقّة "الخلاص".

إنه سلوكية جديدة، لا إيمان جديد.

34 .

إما أمكنني أن أفهم شيئاً عن هذا "الرمزاني" الكبير، فذاك أنه أخذ كوقائع وكحقائق، فقط تلك الأمور الجوانية، وأنه قد عدّ كل

ما بقي، كل ما هو طبيعي، زمني، خاص وتاريخي، رمزاً، وإمكانية أمثال.

مفهوم "ابن الإنسان" ليس مفهوماً عن شخصية ملموسة واقعاً وتنتمي إلى التاريخ، كشيء مميز ومتفرد، وإنما لحقيقة خالدة، وكرمز نفسي محرر من مفهوم الزمن.

ذات الأمر يقال، وبمعنى أكثر إسماء، عن إله هذا الرمزاني النموذجي، وعن مملكة الله، ومملكة السماوات، وعن ماهية ابن الله.

ليس ثمة ما هو أناني عن المسيحية وأقل مسيحية من فظاظة الكنيسة، التي تتحدث عن الله كما عن شخص، وعن "مملكة الله" التي تقترب، عن "مملكة السماوات" الماورائية الأخروية، عن "ابن الله" الذي هو الشخص الثاني في الثالوث.

كل ذلك — مع إتاحة السماح لي بالتعبير — لكمة على العين (ولكن آه على أية عين) عين الإنجيل. وقاحة تاريخية — عالمية في سخرية من الرمز.

لكن هذا واضح (لا ليس واضحاً للجميع، أسلم بذلك) ما مدلول العلامة "أب" و"ابن".

مع كلمة "الابن" يتم التعبير عن الدخول في إحساس كلّي بتشكّل وتجلّي كل الأشياء (الغبطة)، ومع كلمة "الأب" يعبر عن هذا الإحساس نفسه، الإحساس بالأبدية، والكمال.

إنني لأخجل عند تذكر ما فعلته الكنيسة بهذه الرمزية: ألم تضع تحت مظلة الإيمان المسيحيّ تاريخاً انفيتريونيّاً؟⁽¹⁾ أو لم تقدّم عقيدة "الحبل بلا دنس"، وإنّما هي بهذا تدنس الحبل؟ "مملكة السماوات" هي حالة قلب، ليست شيئاً يأتي من "فوق" أو أنه "حياة ما بعد الموت".

كل مفهومات الموت الطبيعي تنقص الإنجيل: فالموت ليس جسراً ولا عبوراً. إنه منتقص لأنّه يشكّل جزءاً من عالم بالكلية مختلف، ووحده واضح جليّ، ووحده نافع لتهيئة علامات . "ساعة الموت الأخيرة" ليست فكرة مسيحية، "الساعة" الزمن، الحياة الزمنية في الجسد وأزماتها، لا توجد عند حامل البشارة الجديدة.

"مملكة الله" ليست شيئاً ينتظر، لا تمتلك أمساً، ولا آتياً، وليست تحل في "الألفية"⁽²⁾.

(1) يروي هزيودس في Teogonia "944" ولادة هرقل من ألكمينا زوجة انفيتريون، حيث واصلها زيوس كبير الآلهة.

(2) انظر رؤيا يوحنا 20: 2 "فقبض على الثنتين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيدته ألف سنة" و20: 4 "والذين لم يسجدوا للوحش ولا

هي خبرة قلب وممارسته، توجد في كل مكان، ولا توجد في أي مكان.

. 35 .

هذا "الراعي الصالح" مات، مثلما حيي، ومثلما علم، لا لكي يفدي الإنسان" لكن لأجل أن يري كيف ينبغي أن يُعاش. ما تركه كميراث للبشرية كان الممارسة:

تصرّفه أمام الحكّام، وأمام الجنود، وأمام متهميه والمشتكين عليه، وأمام كلّ صنف من وشاية وسخرية.. تصرّفه فوق الصليب.

إنّه لا يعترض ولا يدافع عن نفسه وحقّه، لا يتقدّم بأية خطوة ليعيد عن نفسه اللحظة الأكثر حرجاً بالموت، بل إنه يستدعيها. إنّه يتضرّع، ويكابد، ويحبّ أولئك الذين يسيؤون إليه.

لصورته ولم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة.

تلك الكلمات الموجهة إلى اللص على الصليب تحتوي الإنجيل كله: "حقاً كان رجلاً مقدساً وباراً، وابناً لله" قال اللص⁽¹⁾. "إمّا كان هذا حقيقة ما تدركه، أجاب المخلص، إذا ستكون في الفردوس، وتكون أنت أيضاً ابناً لله" إنه لا يقاوم، ولا يهين، ولا يحمل المسؤولية أهدأ.. لا يقاوم أبداً الشرير، بل يحبّه.

36 .

فقط نحن، تلك النفوس المتحررة، من يملك ظروف تفهم أمر قد جرى فهمه فهماً خاطئاً خلال 19 قرناً خلت: نملك تلك النزاهة الحائلة إلى غريزة وهوى، والتي قامت بالحرب ضد

(1) - يذكر متى أن قائد المئة والذين معه قالوا "حقاً كان هذا ابن الله" 27: 54 - وقريباً منه مرقس 15: 39 - أمّا لوقا فيروي عن قائد المئة "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" 23: 47 أمّا ونحن نجد المصلوبين يهزان ييسوع قبلاً، نجد أحدهما مع ذلك يقول في لوقا: "أمّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محلّه" يقول عن يسوع ويطلب منه أن يذكره في ملكوته فأجابه هذا "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" 23: 41-43. فمزج نيتشه من كل هذا ما أثبتّه.

"الكذبة المقدسة" أكثر ممّا ضدّ أية كذبة أخرى.. كان هناك بعدّ لا يُحدّ عن حيادنا المحبّ والحذر، عن ذلك الانضباط الروحي الذي فقط جعل ممكناً كشف أشياء غريبة إلى هذا الحدّ ودقيقة: في كل الأزمان، جرى البحث، بأنانية صفيقة، لتتظر في الأشياء فقط المصلحة الشخصية؛ وفوق ما يناقض الإنجيل رُفِعَ بناء الكنيسة.

من يبحث عن دلائل ألوهية متهمّة تحرك الخيوط خلف اللعبة الكبيرة للعالم، سيصادف سنداً واهياً في إشارة الاستفهام الواسعة التي تدعى المسيحية.

كون البشرية قد خضعت أمام المضاد لما كان الطبيعي الأصل، والفحوى، والحقّ الإنجيلي، وأنّه في مفهوم "الكنيسة" قد قدّس يقيناً ذلك الذي اعتبره حامل البشارة أدنى منه ووراءه: عبثاً يبحث في التاريخ عن شكل أكثر إمعاناً في السخرية من هذا.

37 .

عصرنا متباه وفخور بحسّه التاريخي: كيف أمكن له أن يقنع بالبطان اللامعقول بأنه في مبتدأ المسيحية توجد الخرافة

الخسنة لصانع العجائب والفادي؟ وأن كل الروحي والرمزي هو فقط توسع لاحق؟ بالمقابل، فإن تاريخ المسيحية بدءاً من الموت فوق الصليب هو تاريخ سوء فهم — يزداد جلافة — لرمزية أصليّة.

مع كل توسع للمسيحية فوق الجماهير الأكثر امتداداً ورعونة، والتي ينقصها أكثر فأكثر وبشكل متزايد الظروف التي ولدت فيها المسيحية، يكون ثمة ضرورة متزايدة لجعلها (أي المسيحية) أكثر عمومية، ولبربرتها.

لقد تمثلت وامتصت كل العقائد والطقوس التي لكل العبادات الباطنيّة الديماسيّة في الإمبراطورية الرومانيّة وتفاهات كل أشكال الذهنية المريضة.

قدر المسيحية المشؤوم قام في حتميّة أن إيمانها الخاص يتضمن ما يعود به مريضاً بهذا القدر، وبهذه الحطة، وبهذه السوقيّة، مثلما أن الضرورات التي سعت لإشباعها كانت مريضة ومنحطة وطغاميّة.

بنهاية الأمر فإنّه قد جيّرت إلى الكنيسة، البربريّة المريضة لتشكيل القدرة بوصفها كنيسة.

الكنيسة، هي هذا الشكل من العداوة حتّى الموت لكل استقامة ولكل سموّ في النفس، لكل صقل للهمة الروحيّة، ولكل إنسانيّة حرة وكريمة.

القيم المسيحية مقابل القيم الأرستقراطية: هكذا، نحن فقط، نحن تلكم النفوس المتحرّرة، أعدنا تأسيس هذه المناقضة في القيم، المناقضة الأكبر التي قد وُجدت.

38.

لا أستطيع هنا أن أحبس أنّة وأكتم آهة.

ثمة أيام يحكمني بها شعور أكثر قتاماً من أكثر السوداويات قتامة: هو احتقار الإنسان.

ولكيلا أدع مجالاً للشك حول ما أحتقره ومن الذي أحتقره: فذاك هو إنسان اليوم، الإنسان الذي بكل شؤم أعاصره. إنسان اليوم يخنقني بأنفاسه الفتنة الملوثة.

تجاه الماضي، وكما كل الدارسين المقدرين، فإنني أكنّ مسامحة كبيرة، هذا يعني سيطرة على النفس شهمة كريمة:

أعبرُ باحتراس كئيب هذا البيمارستان الذي كأنه العالم خلال ألفيات كاملة، والذي بات يدعى الآن "المسيحية" و"الإيمان المسيحي" أو "الكنيسة المسيحية" .. أحتاط جداً من أن أجعل البشريّة مسؤولة عن تلك الأمراض التي أنهكت روحها؛ لكنّ

إحساسي يختبر انقلاباً وينفجر ما أن يدخل العصر الحديث، عصرنا — عصرنا العارف .. الذي كان قبل مريضاً هوذا الآن قد ارتدّ بديناً. عدم اللياقة والبذاءة اليوم هو أن يكون المرء مسيحياً. وهنا يبتدئ قرفي.

أثقلت حولي: لم تبق كلمة مما كان يدعي قبلاً حقيقة، ولسنا نحتمل حتى، أن كاهناً ينطق بكلمة "حقيقة". اليوم ثمة وجوب — مع كل التواضع المقنضى للنزاهة — لمعرفة أن لاهوتياً، كاهناً، باباً، وفي كل عبارة يفوه بها ليس فقط أنه يُخطئ، بل يكذب. وأنه ليس يُزرأُ الكذب ويباح بسبب البراءة والجهالة.

كذلك يعرف اللاهوتي، كما يعرف الجميع، أنه ليس ثمة "إله" أو "خطيئة" أو "مخلص"، وأن "الإرادة الحرة" و"النظام الخلفي للعالم" هي أكاذيب.

الجديّة والتسامي العميق للنفس على ذاتها، لا يسمح لأحد بجهل هذا كله.

كل مفاهيم الكنيسة معدودة كما هي في الحقيقة: إنها الأكثر تزييفاً مؤذياً الذي قد وجد أبداً، بنظرات محتقرة للطبيعة وللقيم الطبيعية.

الكاهن نفسه بان مكشوفاً على حقيقته: إنه النمط الأكثر خطراً بين الطفيليين، والعنكبوت المسمم للحياة.

إننا لنعرف، وضميرنا يدرك اليوم هذا، كم تساوي على العموم، وإلى ما تصلح، تلك البدع المشؤومة التي ابتدعها الكهنة، والكنيسة، والتي حصلت ذلك الوضع المدمر المشرّد للبشرية، المثير للقرع لدى ظهوره.. مفاهيم "الآخرة" "الدينونة الأخيرة" "خلود الروح" "الروح" ذاتها، هي أدوات تعذيب وأنظمة وحشية من خلالها يتسلط الكاهن ويظل محتفظاً بسلطانه.

الكل يعرفون هذا، والكل يتبعون مع ذلك ما قد سلف!! أين ستقف البقية الأخيرة للشعور بالحشمة، واحترام الذات، إما كان حتى رجال دولتنا⁽¹⁾، إضافة إلى نوع لا أبالي من الرجال مضاد كفاية للمسيحية فعلاً، يُدعون اليوم مسيحيين، ويمضون لتناول القربان؟!

أمير شاب⁽²⁾ على رأس حكومته يتألق كتعبير عن الأنا والكبرياء التي لشعبه، إنما لا يخجل من أن يعدّ ذاته مسيحياً!! من تنكر المسيحية وترفض؟ ما الذي تدعوه دنيوياً؟

الصيرورة محارباً، قاضياً، الصيرورة مواطناً؛ الدفاع عن النفس، المحافظة على الشرف الخاص، إرادة المنفعة الذاتية، والكبرياء الفخورة...

(1) تعريض بيسمارك وموقفه الغامض من الدين [P]

(2) يعني به Guillermod المميّز بدوافعه الكبيرة، وانفتاحه على الأفكار الجديدة، وتنوّع اهتماماته، وثقافته الكبيرة وشخصيته اللامعة [P]

كل ممارسة في أي حين، كل غريزة، وكل تقييم يتحول إلى فعل، هو اليوم ضد للمسيحية:
أي سيقط زيف يجب أن يكون الإنسان الحديث كيما لا يخلج حتى الآن من أن يدعو نفسه مسيحياً!!

39.

أمضي مرتدًا، لأروي تاريخ المسيحية الحقيقي.
الكلمة ذاتها "المسيحية" هي سوء فهم وخطأ، وفي الأصل لست أجد أكثر من مسيحي واحد: وهذا قد مات مصلوباً.
"إنجيل" مات على الصليب. وما يدعى بدءاً من تلك اللحظة "إنجيلاً" كان بالعكس لذاك الذي قد عاشه: بشارة سيئة، "لا - إنجيل"⁽¹⁾

إنه لأمر زائف وباطل حتى التفاهة إما نُظِرَتْ خصيصة المسيحية في إيمان، ومثالاً، الإيمان بالفداء بواسطة المسيح: فقط الممارسة المسيحية، العيش كما عاش المائت على الصليب هو المسيحية.

(1) يستخدم نيتشه تعبير Dysangelium ليشير في لعب على اللفظ إلى ما هو ضد البشارة: البشارة الرديئة [p].

إن هكذا حياة هي إلى اليوم ممكنة لبعض الأناس، لا بل حتى ضرورية لهم: المسيحية الحقيقية، الأصلية، تصوير ممكنة في كل الأزمان، لا اعتقاداً، وإنما عملاً، وفوق كل شيء لا - عمل أشياء كثيرة وصيرورة في كيان متميز.

إن حالات الضمير، وأي اعتقاد، كمثال عد شيء حقاً، الذي يعلمه كل نفساني، كلها عدم اهتمام كلي وطابوراً خامساً ضد قيمة الغرائز. ومتكلماً بصرامة أكبر، فكل الفكرة العامة عن السببية الروحية هي زائفة.

تخفيض الكينونة المسيحية، الجوهر المسيحي، إلى حد عد ظاهرة محضة للضمير كحقيقة، يعني إنكار المسيحية.

في الواقع، لم أصادف مسيحيين. المسيحي ببساطة، وما يدعى عبر ألفي سنة مسيحياً، نفسية غير مفهومة منه ذاته. وإما نظر إليه بتدقيق، وجد رغم الإيمان كله، وقد تسلطت عليه إطلاقاً الغرائز. وأية غرائز!!

لقد كان الإيمان في كل زمان، وكمثال حالة "لوثر"، فقط غطاءً، وحجة، وستارة، من خلفها تلعب الغرائز لعبتها، وكان دهاء عمياً فوق سيطرة تلك الغرائز.

إن الإيمان - والذي قد دعوته قبلاً بالدهاء المسيحي الحق - يتكلم دائماً عن الإيمان، ويتصرف عاملاً فقط بالغريزة.. في

عالم الأفكار المسيحية لا يظهر أبداً ما يلمس الواقع. بل بالعكس، ففي الكره الغريزي لكل واقع نتعرف العنصر الدافع، "العنصر" الدافع الوحيد في جذور المسيحية.

ماذا يُستنتج من هذا؟ على ما هو كذلك في المسائل النفسية، الخطأ هنا هو جذري، وأنه المقرر للجوهر، والماهية. أستخلص من هنا فكرة، وفي مكانها أضع حقيقة وحيدة، وكل المسيحية تتردى في العدم.

إنني أرى من فوق، من الأعلى، هذا الأكثر غرابة بين كل الأعمال: ديناً مبتدعاً، وليس فقط مشروطاً ومحسّوفاً بالأخطاء، بل خالفاً بمقدار ذلك، وبعبرية، الأخطاء المؤذية، التي تسم الحياة والقلب؛ هو مشهد جدير بالآلوهة، بتلك الآلهة التي تكون أحياناً فلاسفة، والتي وجدتها — على سبيل المثال — في تلك المحاورات الشهيرة لناكسوس⁽¹⁾.

(1) محاورات ناكسوس من ابتداء نيئشه. وفي حوار يؤكد ديونيسيوس على قدرة "الحيوان الكيس الجريء الجسور" الذي هو الإنسان "والذي هو واسع الحيلة ولا مثيل له على الأرض" ويفكر كيف يجعله "أكثر قوة وخبثاً وعمقاً ممّا هو عليه". "أكثر قوة وخبثاً وعمقاً؟ سألت بهلع. نعم ردد مرة ثانية؛... وأكثر جمالاً". من: ما وراء الخير والشر. ترجمة جيزيلا فالور حجار. نيضة 295، وفي النيضة نفسها يقول: "أن يكون ديونيسيوس فيلسوفاً، وأن

في اللحظة التي ينسحب فيها التقرّر من تلك الآلهة (وكذلك يغادرنا) فإنهم يشكرون المنظر الذي يقدمه المسيحي. ذلك الكوكب البائس الصغير الذي يدعى الأرض، يستأهل ربّما فقط بسبب من هذه الحالة الغرائية، نظرة إلهية، واهتماماً إلهياً.

لا نستخفن إذاً بالمسيحية: المسيحي زائف حتى أقصى السذاجة، إنه أعلى بكثير من القرد؛ فيما يتعلق بالمسيحيين، فإن نظرية معروفة جداً عن تولّد السلالات، تغدو لطفاً محضاً.

40.

مصير المسيحية قرّر بالموت — معلقاً على الصليب. فقط الموت، هذا الموت المقنط والمُخجل، و فقط الصليب، الذي على العموم يُحتفظ به للسفلة⁽¹⁾، وحده هذا التناقض

تكون الآلهة إذن هي الأخرى مهتمة بالفلسفة يبدو لي تجديد لا يخلو من الحرج، أمّا بينكم يا أصدقائي فسيكون هذا التجديد أكثر قبولاً.
(1) كان الصليب مكرساً للناس المنحطين، لذلك نجد يسوع يصلب وكذا اللصين وكذا بطرس يصلب، بينما شاول "الروماني" يُضرب عنقه بالسيف المخصّص للرومان والنبلاء.

الظاهري المرعب وَضَعَ التلاميذ أمام السؤال الملغز: من كان هذا؟! ماذا كان هذا؟

الشعور المهتز والمهان في العمق، والارتباب من أن هكذا ميته يمكن أن تكون دحضاً، والعلامة المرعبة للتساؤل: لماذا كان بكل تأكيد هكذا؟: هذه الحالة تفهم جيداً.

فهنا الكل يملك أو يوجب أن يكون ضرورة، حائزاً على معنى، وأحقية، أحقية سامية.

حبّ المريد لا يعرف تقلب الصدف.

فقط حينها تنفتح الهاوية: من أماته؟ من كان عدوه الطبيعي؟ هذا التساؤل ينطرح مثل برق. والجواب: السلطة اليهودية، صنفها الأعلى.

والتلاميذ انطلاقاً من هذه اللحظة وفيما يأتي، استشعروا التمرد ضد النظام المجتمعي، إلى الحد الذي فهم فيه يسوع بوصفه متمرداً ضد النظام. حتى ذلك الحين كانت تنقص صورته هذه الهيئة الحربية، الراضية بالقول والفعل. أكثر من ذلك، كان ذلك المناقضة ليسوع.

إنه لو اوضح أن الجماعة الصغيرة لم تفهم أكيداً ذلك الأساس الذي أنشأ نموذجاً بطريقة الموت هذه: الحرية، والرفعة فوق كل شعور بالضغينة. وهذا علامة على كم أنهم قليلاً قد فهموه. في

ذاته، لم يقدر أن يريد بموته شيئاً آخر غير أن يعطي بشكل عمومي البرهان الأقوى، المظهر لعقيده..

لكن تلامذته كانوا بعيدين عن أن يغفروا هذه الميتة، التي كانت إنجيلية في أرفع معنى، أو بالأقل أن يتقدموا إلى ميتة مشابهة مضحين بأنفسهم، بعذوبة ومحبة هادئة في القلب.

لقد كان، بالتأكيد، الشعور الأقل إنجيلية، أي الثأر، هو الذي فرض ذاته من جديد.

كان غير ممكن أن الدافع يبلغ غايته بهذه الميتة.

ثمة ضرورة للأخذ بالثأر، وللعدالة. (ومع ذلك، أي شيء يمكنه أن يكون أقل إنجيلية من الأخذ بالثأر، والعقاب، والإخضاع للمحاكمة).

مرة أخرى يعود إلى الواجهة التوقع الشعبي عن المسيح؛ ولحظة تاريخية تكون قبلة للنظر: "مملكة الله" تجيء للحكم على أعدائه.

إنما بهذا يكون كل شيء مفهوماً بطريقة رديئة: "مملكة الله" كفعل نهائي، كوعد! الإنجيل كان بوضوح الوجود، الملء، الواقع لمملكة الرب هذه، وميتة كهذه كانت بالضبط مملكة الرب تلك.

فقط الآن يُشكّل في شخص المعلم كل الاحتقار وكل المرارة تجاه الفريسيين واللاهوتيين — وبهذه الطريقة جعلوا منه فريسيًا ولاهوتيًا!!

من جهة أخرى، فإنّ التجلّة العائدة وحشية، في هذه النفوس المضطربة الخارجة عن كل ضبط بالكلية، لم تحتمل تلك المساواة الإنجيلية في الحقوق، ولا كذلك تحويل الكل إلى أبناء لله، كما بشر يسوع: انتقامهم قام على رفع يسوع إلى أعلى بطريقة مفرطة، على فصله عنهم، وهو ذات الأمر الذي حصل في وقت آخر حيث العبرانيين كيما يثأروا من أعدائهم انفصلوا عنهم إلى إلههم الخاص وقد رفعوه إلى أعلى.

الله الأحد.. الابن الوحيد لله: كلاهما صنعنا الحقد [Resentinent].

41.

من الآن وصاعداً، تندفق مشكلة منافية للعقل واستحالية: "كيف أمكن لله أن يسمح

بذلك!"

ولأجل هذا التساؤل وجد العقل المضطرب المشوش للجماعة الصغيرة جواباً منافياً للعقل بشكل مرعب: لقد وهب الله ابنه لمغفرة الخطايا، كأضحية استغفار.

آه كيف بضرية واحدة، وبأية طريقة، يُنتهى من الإنجيل!

الذبيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للاشمئزاز، الأكثر بربرية، التضحية بالبريء لغفران خطايا المذنبين. أية وثنية هائلة!!

يسوع أبطل المفهوم ذاته للـ (ذنب)، ملغياً كل هوة وبون بين الله والإنسان، عائشاً هذا الاتحاد بين الله والإنسان كـ : (بشارته)، وليس كامتياز.

بدءاً من الآن وآتياً، وشيئاً فشيئاً، يُتوصّل إلى تخليق شخصية الفادي: عقيدة القضاء والرجعة، عقيدة الموت موتاً قربانياً (تضحواً) كذبيحة، عقيدة القيامة، التي بها أخفي كل مفهوم (الطوباوية)، وهي الواقعة الوحيدة والكاملة للإنجيل، لصالح حالة ما بعد القبر!!

(بولس) أعطى معنى منطقياً لهذا الفهم، لهذا العتوّ المتهوّر في التقرير والفهم، عبر تلك العجرفة الوقحة الحاخامية التي ميّزته في كل الظروف "إن كان المسيح لم يقم من بين الأموات

فباطلٌ يكون إيماننا⁽¹⁾ وسراعاً ما تحول الإنجيل إلى الأكثر حقارة بين كل الوعود غير ممكنة التحقق، وإلى عقيدة ليست تخجل، عقيدة الخلود الشخصي!!
بولس نفسه بشر بذلك كمكافأة.

. 42 .

يُرى ما وُضع نهايةً له الموتُ على الصليب:
ابتداءً جديد وتام وحقيقي لحركة بوذية للمسالمة⁽²⁾، ولسعادة فعلية، لا موعودة، فوق الأرض. لأن هذا هو — كما أظهرت —
الفرق العميق بين ديني الانحطاط هذين: البوذية لا تعد، بل تُتم،
بينما المسيحية تعد بالكل ولا تُتم شيئاً.
البشارة الجيدة يتبعها عن قرب ويحل محلها البشارة الرديئة:
بشارة بولس.

(1) نص الآية 14 من الأصحاح 15 من الرسالة إلى كورنثوس: "فإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم".

(2) قارن مع الفصل 20

في بولس يتجسد النمط المعاكس ((لحامل البشارة الجيد))
والعبرية في البغضاء، وفي رؤيا البغضاء، وفي منطق الكره
الذي لا يلين ولا يرحم.

كم من أشياء ضحى بها هذا اللا — إنجيلي⁽²⁾ للبغضاء؟ قبل
الجميع المخلص ذاته: سمره فوق صليبه. الحياة، المثل، العقيدة،
الموت، المعنى والحق في كل الإنجيل، لاشيء قد بقي من ذلك
عندما علم هذا المزيف بالبغضاء ما فقط يحتاجه لأجل غاياته.
لا الحقيقي، لا الحقيقة التاريخية!... ومرة أخرى ترتكب
الغريزة الكهنوتية اليهودية الجريمة الخطيرة ذاتها ضد التاريخ.
إنها ببساطة قد مَحَت الأمل، الماضي المسيحي، واخترعت
للمسيحية البدنية تاريخاً.

علاوة على ذلك، زُيِّت من جديد تاريخ إسرائيل مظهره إياه
كتسبيقة تاريخية لفعلتها: كل الأنبياء قد تكلموا عن "المخلص"
الذي أوجدته.

الكنيسة زُيِّت لاحقاً حتى تاريخ البشرية ذاته، قالبة إياه إلى
ما قبل تاريخ المسيحية.

شخصية المخلص، والعقيدة — عقيدته — والممارسة،
والموت، ومعنى الموت، وحتى ما يحدث ما بعد الموت نفسه،

dysevangelist⁽²⁾

لأشياء بقي دون أن يطرق ويُمس؛ لأشياء قد بقي به ولو مشابهاً للواقع.

الذي قام به بولس ببساطة كان نقل مركز الثقل ونقطة الجاذبية لكامل ذلك الكيان إلى ما وراء ذلك الكيان ووضعه في كذبة يسوع المنبعث.

في الأساس لم يكن محتاجاً على الإطلاق إلى حياة المخلص، كان محتاجاً إلى الميتة على الصليب، وإلى شيء آخر. إن الاعتقاد بأمانة وإخلاص "بولس" (والذي كان بلده المتحدر منه في المركز الرئيس للفلسفة الرواقية اللامعة⁽¹⁾)، وحيث تحت تأثير الوهم، رتب البرهان على أن المخلص لم يزل إلى الآن حياً، أو حتى أرسخ تصديقاً لروايته بأنه قد وقد له ذلك التوهم سيكون — عند السيكلوجين — بلاهة حقة.

بولس يتطلع إلى الغاية، وبالتالي، ينظر في الوسائل. ما لم يؤمن به هو يؤمن به أولئك المغفلون الذين بذر بينهم عقيدته.

⁽¹⁾ في مدينة طرسوس عاش وعلم رواقيون من حقب شتى: زينون، ارشديموس انتياتر، هيراكليطس، اتينودورو، هيرودوت، ديوجين، الذين أعطاهم ديوجين اللايرثي الهوية الطرسوسية. في فترة دراسته في ليزيغ وأستاذيته في بازل، اهتم نيتشه كثيراً بعمل ديوجين اللايرثي: حياة وأفكار كبار الفلاسفة. [P]

احتياجه كان إلى القوة. عبر بولس أراد الكاهن مرة أخرى أن يحصل على القدرة.

هو وحده كان يقدر على الانتفاع من المفاهيم والعقائد والرموز التي بها يتم التسلط على الجماهير، وتنظيم القطعان. ما كان الشيء الوحيد الذي استعاره "محمّد" لاحقاً، من المسيحية؟

إنه ابتدأ بولس، ووسيلته للتسلط الكهنوتي، ولتشكيل القطعان: الاعتقاد بالخلود — وهذا يعني، عقيدة "الدينونة".

43

وضع مركز ثقل الحياة لا في الحياة، وإنما في الأكثر بُعداً، في الآخرة، في اللاشيء، يسلب الحياة من أهميتها وثقلها. الكذبة الكبيرة عن الخلود الشخصي تدمر كل صوابية وكل طبيعة في الغرائز. كل ما هو مفيد ومفضل في الحياة، كل ما يضمن المستقبل من الغرائز يستثير من الآن وصاعداً عدم الثقة.

الحياة بهذا طريقة لا تملك بعد معنى الحياة، يُحوّل الآن إلى (معنى) الحياة.

لماذا الشعور التضامني، لماذا الامتتان للسلالة، للأجداد، لماذا التكافل، الوثوق، الحفز ومراعاة النظر في خيرٍ عموميٍّ ما؟...

كلّ هذه الأمور هي إغواءات، كلّ هذه الأمور انحراف عن (الطريق المستقيم).

"شيء واحد فقط هو الذي ينقص وهو الضروري" ... أن كلّ واحد، كونه "روحاً خالدة"، يملك المنزل ذاتها التي يملكها الجميع، وأن "الخلاص" - وبالإجماع مع كلّ كينونة - لكلّ شخص، يقدر أن يدعي أهمية خالدة، وأن كلّ المنافقين التقاة الصغار وأنصاف المجانين يملكون الحقّ ليتصوّروا أنّه لأجلهم تخالف قوانين الطبيعة باستمرار: في كلّ ذلك فإنّ هكذا رفع لكلّ صنف من أنانيّة والذي يصل إلى اللا تناهي وإلى الفحش الذي لا يخجل، لا يُقدّر أن ينظر إليه بالاحتقار الكافي.

ومع ذلك فإنّ المسيحيّة تدين بانتصارها إلى هذا التملق المؤسسي الزرّي، إلى هذه البهرجة الشخصية المزدهية. وبهذا فإنّها تجذب إليها بالتأكيد ما هو مشوّه، وذوي الحدة في التمرد، والفاشلين، المحطّمين، وكلّ حثالة البشرية.

(خلاص الروح) يعني بالألمانية⁽¹⁾: (العالم يدور حولي).

وسمّ عقيدة (الحقوق ذاتها للجميع)⁽¹⁾ تُنشر عميقاً بواسطة المسيحيّة.. إنّ المسيحيّة، انطلاقاً من أخبأ الزوايا الغريزية الرديئة، قامت بحربٍ حتّى الموت ضدّ كلّ مشاعر التوقير والحفاظ على المسافة التي بين إنسان وإنسان، وهذا يعني، ضدّ الظروف المهيئة لكلّ سموّ، وكلّ نموّ في الحضارة... بالضغينة الشعبيّة طرقت سلاحها الرئيس ضدّنا، ضدّ كلّ أرسقراطية، ضدّ كلّ مبهج وكريم موجود على الأرض.

الخلود ممنوحاً لهذا وذاك كان حتّى الآن المحاولة الأكثر إيذاءً وهو لا ضدّ النبالة.

إننا لا نستخفّ بالشؤم الذي نفذ متغلغلاً من المسيحيّة إلى السياسية!

لا أحد يملك الشجاعة اليوم ليطالب بالحقوق الخصوصية، وبالسيادة، وشعور الاحترام المُجلّ لنفسه ولبنّي قومه، وللمناداة بتعاطفه مع الفوارق والمسافات الطبيعيّة... سياستنا مريضته بنقص الشجاعة هذا.

الأرسقراطية في الجبل قد قوّضت داخلياً بكذبة أن النفوس سواسية.

(1) قارن مع أواخر الفقرة 40.

(1) كما نقول بالعربي الفصيح، أو القول بوضوح.

وإذا كان الاعتقاد بـ "حقوق الأكرية" قد صنع ثورة وسيصنع، حينها فإن المسيحية، ولاشك، وتلك الأحكام القيمية المسيحية، هي من حول كل ثورة إلى الدم والجريمة. المسيحية هي تمرّد كل أولئك المتجرجرين فوق التراب ضدّ كل من يملكونه رفعة: إنجيل السفلة يصنع سفالة (إنجيل المخزيين يخزي).

. 44 .

الأنجيل شهادة لا تتمن عن الفساد الذي لا يعالج والذي وُجد في صدر الجماعة الأولى. والذي قد حمله بولس فيما بعد إلى نهايته وأنجزه، بالمنطق الصفيق لحاخام، لم يكن إلا قضية الانحطاط الذي بدأ مع موت المخلص.

كل الاحتراس الذي يتخذ عند قراءة الأنجيل يبقى قليلاً، حيث كل كلمة تخفي وراءها صعوبات كثيرة.

أنا واثق — وفي هذا يجب أن يوثق بي وأقدر جيداً لما أقوله — أنه لهذا السبب بالتأكيد فإن تلك الأنجيل تقوم، لدى نفساني،

منبغ تسليية من المرتبة الأولى: كمنافضة بكلّ فساد ساذج، وكحذلق ومغالاة رفيعة، ومهارة في الفساد النفساني. الأنجيل تقوم متوحدة، وبجوهرية تعتمد على ذاتها. الكتاب المقدس من جهته — عموماً — لا يقبل أية مقارنة ولا يتحملها. نحن بين اليهود: نقطة النظر الأولى كيما لا يضيع تماماً الخيط المرشد.

الانتقال الذاتي، الذي هو مباشرة فعل عبقر، إلى (القداسة)، والذي أبداً لم يكن — ولا بالمقاربة — متوصلاً إليه في مكان آخر، لا في الكتب ولا بين الناس، التزييف للكلمات والإيماءات كفن، ليس خاضعاً لمصادفة نبوغ شخصي، ولا لأي شكل من وجود استثنائي: لأجل هذا يُحتاج إلى سلالة Raza.

جماع اليهودية التي هي تشدد في الممارسة وتكنيك يهودي دنيوي بالغ الجدّة، تحصل براعتها النهائية في المسيحية بمفهومها فنّ الكذب المقدس.

المسيحي، العلة النهائية للكذب [Ultima ratio]، هو اليهودي مضعفاً، بل اليهودي مثلاً.

إن إرادة الاستخدام الأساسية، فقط لمفاهيم، ورموز، وإشارات وهيئات والاستفادة منها، مختبرة ومُبيّنة بتجربة الكاهن. الرفض الغريزي لكل خبرة أو ممارسة أخرى، لكل

منظور آخر للقيمة والمنفعة، هذا ليس أنه فقط تقليد بل وريثة: فقط بكونها وراثته، تتصرف كطبيعي.

كل البشرية، وأفضل الرؤوس في كل العصور (باستثناء واحد، الذي لعله ببساطة إنسان هائل سام) تركت مخدوعة.

لقد قرئ الإنجيل ككتاب للبراءة، وأحد لم يشر إلى البراعة التي أنجز بها كوميديا.

وطبعاً إما استطعنا أن نرى خارج السياق كل هؤلاء المنافقين العجائبيين، والقديسين الفنانين، فإن كل هذه الكوميديا ستنتهي. وبالتأكيد لكوني لا أقرأ كلمة واحدة دون رؤية ملامحها، فإنني أنتهي منها.. إنني لا أحتمل فيها تلك الطريقة في رفع العينين إلى السماء.

إن من التوفيق أن تلك الكتب، في أغليبتها، هي محض أدبيات.

فلا نسمن بأن نخدع: "لا تدين"، تقول تلك الكتب، بينما ترسل إلى الجحيم كل من يكون عائقاً في طريقها. وإما تجعل الحكم لله، فإنها تحاكم هي نفسها، وفي صنيعها بتمجيد الله تمجد ذاتها، وباقتضائها للفضائل التي بها تصبح قديرة — وهذا يعني الفضائل الضرورية التي بها تبقى محتفظة بسلطانها — تمنح الهيئة العظيمة للصراع من أجل الفضيلة، ولمعركة من أجل

سلطة الفضيلة. "إننا نعيش، إننا نموت، مضحين بأنفسنا لأجل الخير" (لأجل "الحق"، "النور"، "مملكة الرب").

لقد عملوا — في الواقع — ما لم يكن بوسعهم ألا يعملوه، بينما — وبطريقة منافقة — أظهروا التواضع، والتجأوا إلى الزوايا، عاشوا في الظل، كظلال، جاعلين من هذا واجباً. حياتهم كوضاعة تظهر كواجب. وكوضاعة هي برهان زائد على التقوى تجاه الله.

آه أي بهتان منافق ذاك التواضع والعفة والرحمة!

((الفضيلة نفسها يجب أن تُثمن في نفوسنا ومن قبلنا)).

يجب أن تُقرأ الأناجيل ككتب للإغواء عبر الأخلاق؛ والأخلاق تبقى محجوزة من قبل هؤلاء الناس الصغار!

إنهم يعرفون أية أهمية تمتلك الأخلاق.. الأخلاق أنجع طريقة لأجل التصرف بالناس من أنوفهم.

الواقع أن هنا أكبر خيلاء مدركة ممن يعتقدون كونهم مختارين، مع تمثيل دور العفة. ومن ثم يتشكل حزبان: حزب يركز في ذاته مرة واحدة وإلى الأبد، كحزب للحق، أنه "الجماعة"، "الأخيار والعادلون"، بينما يضع البقية أي (العالم) في الجهة الأخرى.

هذا كان الشكل الأكثر شؤماً لجنون العظمة المصادف فوق وجه الأرض .. تلك الطروح والمسوخ الضئيلة من النقاة والكذبة، بدأوا يدعون لأنفسهم مفاهيم "الله" "الحق" "النور" "الروح" "الحب" و"الحكمة" و"الحياة" كمرادفات لذواتهم في مقصد منهم لوضع حدّ بينهم وبين العالم.

يهود صغار متميزون، ناضجون لكلّ صنف من مشافي المجانين قلبوا القيم لأجل ذواتهم، وأداروها لصالحهم. كما لو أنّ المسيحي صار بالتأكيد المعنى، الملح، والمقياس والحكم النهائي لكلّ الناس الآخرين. كلّ هذه البغضاء النكدة ذات الشؤم، فقط أمكن لها أن تقوم عبر وجود هكذا نمط من جنون العظمة، متمائل سلالياً: عبر اليهودي.

ومنذ ذلك الحين انشقت الهوة بين اليهود والمسيحيين من أصل يهودي؛ ولم يبق للآخرين أيّ خيار غير استخدام التصرفات ذاتها لحفظ الذات والتي تسترشد الغريزة اليهودية ذاتها ضدّ اليهود أنفسهم؛ بينما اليهود حتّى الآن، يستخدمونها ضدّ كلّ من ليسوا يهوداً.

إنّ المسيحي هو فقط يهوديٌ بمعتقد أكثر حرية.

45.

أمضي لتقديم بعض الدلائل عمّا أدخله هؤلاء الناس الصغار⁽¹⁾ في رأس المعلم، وعمّا وضعوه في فمه. محض اعترافات إيمان من "أرواح علوية".

((وكلّ من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً ممّا لتلك المدينة)) مرقس 6: 11
أيّ انجيليّة!

((وإن أعثرتك عينك فاقلعها. خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ))
مرقس 9: 47 - 48.

بالتأكيد ليس العين ما تعنيه هذه الكلمات.
((ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر)) مرقس 9: 42

⁽¹⁾ من الصغارة المعنوية.

أي أنجيليّة هي هذه!

((الحق أقول لكم أن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة)) مرقس 9: 1
تكذب جيداً أيها الأسد⁽¹⁾.

((من أراد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.. لأن))

(ملاحظة من نفسي: الأخلاق المسيحية مدحوضة بما فيها من "لأن": إثباتاتها تفند. هذا ما هو مسيحي). مرقس 8: 34
((لا تدنسوا لكبي لا تدنوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدننون تدانون)) متى 7: 1 - 2

آية فكرة عدالة، وأي قاض عادل!!

((لأنه إن أحببت الذين يحبونكم فأني أجز لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأني فضل تصنعون أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك)) متى 5: 46-47
مبدأ "الحب المسيحي": اسع لأن تكون في النهاية حسن المكافأة.

(1) رمز مرقس الأسد.

((وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم)) متى 6: 15 هذا يلقي ضوءاً قوياً بثير الريبة، حول ما قلناه أعلاه عن "الأب".

((ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزداد لكم)) متى 6: 33

((كل هذه الأشياء)) تعني: الغذاء، اللباس، وكل ما هو ضروري للحياة، وإنه لخطأ.
التحدث عنها بتهوين وجعلها قليلاً.

قليل بعد ويظهر الله كخيّاط، أقله في بعض الأحوال!
((افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا، فهذا أجزكم عظيم في السماء. لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء)) لوقا 6: 23
آية حثالة ليست تخجل، حتى يقارنوا أنفسهم بالأنبياء.

((أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس، الذي أنتم هو)) كورنثس 1: 16-17

أفكار كهذه تستحق الاحتقار الأعمق.

((أستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى)) كورنثس 1: 6: 2

أسفاً أن خطاباً كهذا غير منمّي إلى مأوى مجانين فقط؛ وهذا الكذاب المريع يتابع حرفياً هكذا: ((ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة)).. ((ألم يجهل الله حكمة هذا العالم؟ لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة — فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد؛ ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء — بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء، واختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزدرى والذي هو لاشيء ليبطل الموجود، لكي لا يفخر كل ذي جسد أمامه)) إكورنثوس 1: 20 وما يتلو.

لفهم هذا المقطع، الذي هو إثبات من الدرجة الأولى على نفسية كل أخلاق المنبوذين Chandala، فليقرأ الجزء الأول من كتابي ((أصل الأخلاق)) ففيه تُظهر إلى النور لأول مرة المناقضة بين أخلاق نبيلة أرسقراطية وأخلاق المنبوذين، هذه الأخلاق التي هي وليدة الضغينة الحقود والانتقام العاجز. بولس كان الأكبر بين رسل الانتقام.

46.

ماذا يُستنتج من هذا ؟

أن المرء يحسن صنعاً إمّا وضع الققازات عند قراءة العهد الجديد؛ إذ أن الدنوّ من هكذا وساخة يكاد يضطرّنا إلى هذا. لن نرتضي رفقة ((المسيحيين الأوائل))، مثلما لسنا نختار أن نرافق اليهود البولنديين. ليس حتّى ضرورياً إشهار الحجّة لمعارضتهم؛ فكلّ منهما يزفر رائحة كريهة.

عبثاً فتشت في العهد الجديد، عليّ أجد ولو فقط قسمة ظريفة: فما به من شيء حرّ، أرّحي، كريم، شريف. هنا لم تبدأ حتى الآن الصيرورة البشرية — تنقص غريزة النظافة.. ليس في العهد الجديد أكثر من غرائز سيئة.. ليس فيه ولا حتّى الاندفاع لتأكيد هذه الغرائز السيئة. كلّه جبانة.. كلّه: إغلاق أعين وخداع للذات.

كلّ كتاب يبدو نظيفاً غبّ أن يفرغ المرء من قراءة العهد الجديد: لإعطاء مثال، فإنني مباشرة بعد قراءة بولس قرأت

وبانخطاف وافتتان حقيقي "بيترونيوس"⁽¹⁾ ذلك الساهر الظريف الهجاء والجريء، والذي يمكن أن يقال عنه ما كتبه "دومينيكو بوكاشيو" عن "سيزار بورجيا" إلى "الدوق دي بورما":

((إنه تام الرسوخ [e Tuttofesto] .. نظيف بدوام، وسعيد بدوام، وناجح تماماً)).

هؤلاء السقاء المنافقون أخطاوا حساباتهم، وبالتأكيد من الأساس. إنهم هاجموا، لكن بهذا كل ما كان مهاجماً منهم جعل مميزاً.

عندما ميحي من المسيحيين الأوائل يهاجم، فإن المهاجم لا يكون ملطخاً... بل بالعكس: إنه لشرف أن يكون ضده مسيحي بدني.

إن العهد الجديد لا يمكن قراءته دون الشعور بتفضيل ذلك الذي يُعامل فيه بسوء؛ ولا نتكلم عن ((حكمة هذا العالم)) التي يحاول بجّاح متعجرف عبثاً أن يحطّ من شأنها عبر عظاته الحمقاء.. حتّى أولئك الكتبة والفريسيون استفادوا من هكذا

(1) الأرجح أنه جايوس بترونيوس الذي قُتل بأمر نيرون. بقي بعض كتابه الساتيريكون الذي يعني الخليط من نثر وشعر وفلسفة ومغامرات. يقول ول ديورانت عن الكتاب: الكتاب كله خلوّ من الرحمة وليس فيه شيء من العطف على الناس، ولا يهدف إلى مثل أعلى، ويرى كاتبه أن الفساد وسوء الخلق أمر طبيعي ولا غبار عليهما.

عداوة: يجب أن يكونوا قد حازوا قيمة ما كيما يكونوا مبغوضين بطريقة مثينة غير ذات لياقة كهذه.

المراعاة (أو الفريسيّة) ستكون اللوم الذي يقدر أن يفعله المسيحيون الأوائل.

وفي التحليل الأخير كان الكتبة والفريسيون هم أصحاب الميزة إذ أنه كاف بغضاء الطبقة الحفيرة وليس ثمة حاجة إلى علة أخرى.

المسيحي الأول، وأخشى أن يكون كذلك المسيحي الأخير الذي ربّما أعيش ما يكفي حتّى أراه، هو — انطلاقاً من غرائز عميقة — تمرّد ضدّ كلّ متميّز.

إنه يعيش دائماً ويحارب دائماً لأجل ((المساواة في الحقوق))!

وإما لوحظ جيّداً، فإنه لا يملك خياراً آخر. فإذا أراد واحد أن يكون في شخصه الذاتي ((مختاراً من الله)) أو ((هيكلاً لله)) أو ((ديّاناً للملائكة))، إذّاك فإنّ كلّ مبدأ اختيار آخر مؤسّساً مثلاً على الشرف، على الهمّة، على الرجولية والفخر، على الجمال، وحرية القلب، هو ببساطة ((العالم))، الشرّ في ذاته!

مغزى: كلّ كلمة في شفتي مسيحي من الأوائل هي كذبة، كلّ فعل من أفعاله هو زيف فطري.. كلّ قيمه، كلّ غاياته هي وبيلة مؤذية، إنّما ما يبغضُ فذاك يمتلك قيمة.

إننا نرفض الله كونه إلهاً. وإما نحن امتحناً هذا الإله
المسيحي، فإننا ندرك أن إيماننا به سيمسي أقل.. وحتى نعتبر
بصيغة: (1)

((deus, qualem paulus creavit, dei negatio))

((الله كما آمن به بولس، هو الإنكار لله))

إن ديناً كالمسيحية لا يلامس الواقع ولا من أية نقطة، والذي
حالاً يسقط في اللحظة التي يمتلك فيها الواقع حقه ولو في نقطة
واحدة، يجب أن يكون بطبيعته عدواً حتى الموت ((الحكمة هذا
العالم)) أعني "للعلم". إنها (أي المسيحية) تستحسن وتستسيغ كل
الوسائل التي بها يكون ممكناً تسميم وتشويه سمعة، والخط من
قدر، تعاليم الروح الشبهة، والصفاء والقسوة في أمور الضمير
الوجداني، والتحفظ النبيل وحرية الروح.

((الإيمان)) كأمر، هو ((فيتو)) ضد العلم.. وعملياً هو الكذب
بأي ثمن.

ولقد علم "بولس" أن الكذب، وأن ((الإيمان)) أمور
ضرورية. ومن جهتها، وفي فترة لاحقة، فإن الكنيسة قد فهمت
"بولس".

(1) باللاتينية في الأصل.

المسيحي، وخصوصاً المسيحي الكاهن، هو معيار للقيم.
أوجب عليّ أن أضيف مع ذلك أنه في كامل العهد الجديد
تصادف هيئة واحدة جديرة بأن تُشرّف؟ إنه بيلاطوس الوالي
الروماني. فأن يأخذ بجديّة قضية بين اليهود، فهذا شيء مما لا
يقوم في نفسه. فأي أهمية ليهودي واحد أكثر أو أقل؟

الهزء الأرستقراطي لروماني تجاه القيام بتحريف وسوء
استعمال لنسيم مشين للكلمة: "حقيقة" أغنى العهد الجديد بكلمة
وحيدة قيّمة، والتي هي بذاتها الحكم عليه والنقض الهدام له:
((ما هو الحق)) (1).

47.

ليس ما يميزنا كوننا لم نعد نصادف إلهاً لا في التاريخ ولا
في الطبيعة، كما ولا فيما خلف الطبيعة، وإنما كوننا نعدّ ما
ينضوي تحت اسم "الله" لا كألوهة وإنما كبؤس مؤسف ومحال
وضرر.. لا فقط كخطأ، وإنما كجريمة ضد الحياة..

(1) يوحنا 18: 37-38 فقال له بيلاطس أفأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع أنت
تقول إنني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق كل
من هو من الحق يسمع صوتي * فقال له بيلاطس ما هو الحق؟!*

ذاك الإله الذي اخترعه "بولس" وهو إله "يحطم حكمة هذا العالم" (بمعنى دقيق، فإنّ العدوين الكبيرين لكل طيرة وخرافة هما فقه اللغة والطب) في الحق أنّ ذلك الإله ليس إلّا القرار الوطني لبولس نفسه كي يعمل هذا: أن يدعو الله ما هو إرادته الخاصة، وهذا ليس غير نمطيّة يهوديّة.

بولس يريد تدمير "حكمة العالم"، وأعداؤه كانوا علماء اللغة الجديدين وأطباء المدرسة الإسكندرانية — وضدهم شنّ حرباً. فعلياً لا يكون عالم لغة (فيلولوجي) أو طبيب كذلك عن حق، دون أن يكون بذلك، ومباشرة، مضاداً للمسيحيّة.

إن المرء، كعالم لغة، ينظر فعلياً ما وراء الكتب المقدّسة، وكطبيب ما وراء الانحطاط الجسدي الفيزيولوجي للنمط المسيحي.

الطبيب يقول: "ليس بُشفى" .. الفيلولوجي يقول: "كذبة وشعوذة خداعة".

48.

أتراه قد فهم جيداً في الحقيقة التاريخ الشهير الموجود في مطلع التوراة والخوف الجهنمي لله من المعرفة؟

كلّاً لم يفهم.

هذا الكتاب الكهنوتي بتميّز يبدأ، كما لو أنّه الحقّ والأمر الطبيعي، بالضيق الداخلي الكبير للكهّان: إنّه لا يعرف فقط إلّا خطراً جديّاً واحداً، ومن ثمّ فالله ليس يعرف إلّا هذا الخطر.

الله الهزم، كلّ "روح"، كلّ كاهن رفيع المرتبة، وكلّ كمال، يتنزّه بسرور في حديقته، وإنّما يعروه الملل.

وضدّ الملالة يصارع عبثاً حتى الآلهة. ما العمل؟ إنّه يخترع الإنسان بالنظر إلى الإنسان كآلهة. لكن قد وجب هنا أن الإنسان يملّ أيضاً. والله برّد فعل وبرحمته غير المحدودة تجاه البليّة الوحيدة الخاصّة بكلّ الجنّات: يخلق سريعاً حيوانات أخرى. زلّة الله الأولى: أن الإنسان لم يجد سلوة في الحيوانات؛ تسلّط عليها ولم يرّد حتّى أن يصير "حيواناً".

بالنتيجة، يخلق الله المرأة. وبالفعل فإنّ السامة لاقت هنا نهايتها، ولكن كذلك انتهت أشياء أخرى! لقد كانت المرأة الزلّة الثانية لله. ((المرأة بجوهرها أفعى، حواء))⁽¹⁾ — هذا ما يعرفه كلّ كاهن ((من المرأة يأتي كل شر في العالم)) — وهذا ما يعرفه بذات المنحى أيضاً كلّ كاهن ((لكن بالنتيجة، منها أتى

⁽¹⁾ اقتباس من يوليوس ولهاوزن تمهيد في تاريخ إسرائيل برلين 1883 [P]

كذلك العلم)). فقط بوساطة المرأة تعلم الإنسان أن يتذوق من شجرة المعرفة.

ماذا حدث؟ ضيقٌ ملتاغٌ مريعٌ تحكمَ بالله العجوز. الإنسان نفسه تحول إلى غلظته الكبرى؛ لقد خلق خصماً منافساً، والعلم أقام [من الإنسان] مساوياً لله.

إنها نهاية الكهنة ونهاية الله إذا ما انقلب الإنسان علمانياً! عبرة: العلم هو الممنوع بذاته؛ فقط هو الممنوع. العلم هو الخطيئة الأولى وأصل كل خطيئة؛ الخطيئة الأصلية — هذا هو فقط الأخلاق.

((لا تكن ذا معرفة)): والبقية تتأتى من هذه الوصية. خوفٌ وضيقٌ الله المريع لم يمنعه من أن يكون ذكياً. كيف يمكن مقاومة العلم؟؟ هذا ما كان عبر زمن طويل مشكلته الرئيسية. والجواب: فليطرد الإنسان من الجنة!

السعادة والفراغ سبيل إلى التفكير، وكل الأفكار هي أفكار رديئة.. الإنسان لا يجب أن يفكر — ((الكاهن في ذاته))⁽¹⁾ يستدع الإرغام، الموت، الخطر القاتل للتفكير، وكل شكل من

(1) صياغة تشبيهية "لشيء" في ذاته" عند كانط، وقد دأب نيتشه على نقده. معنى تحقيري.

بؤس، الشيخوخة، العناء، وفوق الكل المرض. وسائط محضة خالصة في الصراع ضد العلم!

البؤس المرغى لن يسمح للإنسان بالتفكير. مع ذلك ثمة ما هو أكثر رعباً!! عمل المعرفة يرتفع مثل برج، متجاسراً على السماء، ومُحلاً شفق الأرباب، فما العمل!! الله اخترع الحرب، وقسم الناس، وعمل ما يجعل الناس يتفانون فيما بينهم. (إن الكهنة كانوا دائماً في عوز إلى الحرب..) والحرب، بين أشياء أخرى، معركة عظيمة للعلم. شيء لا يُصدق!! المعرفة، والتحرر تجاه الكهنة، يتناميان رغم الحروب.

قرار أخير يتخذه الله الهرم: ((لقد صار الإنسان علمانياً — ليس ثمة ما يمكن فعله بعد. يجب أن يُغرق!!))..

49.

هل كنتُ مفهوماً؟ بداية التوراة تضم كل نفسية الكاهن — والكاهن يعرف خطراً واحداً فقط: العلم، والمفهوم السليم للسبب والنتيجة. لكن العلم على العموم يزدهر فقط تحت أجواء سعيدة

موائية — لأجل "المعرفة" يجب احتياز الوقت و "الهمة النفسية" الوافرين للبحث. ((بالتالي: يجب جعل الإنسان غير سعيد)). هذا في كل زمان منطق الكهنة، ويمكن أن يحزر — تبعاً لهذا المنطق — ما وفد أولاً إلى العالم: الخطيئة.

مفهوم الخطيئة والعقاب، وكل ((النظام الأخلاقي للعالم)) قد تم اختراعهم ضد العلم، ضد الانعتاق الإنساني تجاه الكاهن... الإنسان لا يجب أن ينظر أبعد من ذاته؛ يجب أن ينظر إلى داخله؛ لا يجب أن ينظر باطن الأشياء بذكائه وفطنة كيما يتعلم، وبالحرى ألا ينظر البتة: يجب أن يعاني... ويجب أن يعاني بطريقة تقتضي دوام الحاجة إلى الكاهن.

بعداً للأطباء! إذ الحاجة إلى مخلص.

مفهوم الخطيئة والعقاب، متضمناً عقيدة "النعمة" و "الفداء" و "الغفران"، أكاذيب تامة، خالية من كل واقعية نفسية، ومبتدعة لتدمير الشعور بالعليّة عند الإنسان: إنها التهجّم على مفهوم السبب والنتيجة! — وما هو بهجوم بالقبضات وبالسكين، وبالإخلاص في البغضاء والمحبة! بل انطلاقاً من الغريزة الأكثر جيناً، الأكثر مكرراً واحتياجاً، الأكثر دناءة خسية! إنه هجوم كهنوتي! هجوم متطفلين! إنه امتصاص الدماء الخاص بعلفة شاحبة ديماسية سرديّة⁽¹⁾.

⁽¹⁾ هذا تعريض بأماكن اجتماعات المسيحيين الأوائل.

عندما لا تعود النتائج الطبيعية لفعل ما (طبيعية) وإنما تصوّر بطريقة غرائبية [فانتازيا] كأنها منتجات للخرافة المتطيرة، و "إله" و "أرواح" و "نفوس"، وكنسائج صرف "أخلاقية"، وكمكافأة أو عقاب، وعلامة، وكمقياس لأجل التربية والتأديب، حينها: فإن ظروف المعرفة الملائمة تكون متأدية ومخرّبة، وحينها ترتكب الجريمة الكبرى تجاه البشرية.

الخطيئة، أقول من جديد، هذا الشكل الامتيازي للتحقير الذاتي للإنسان، قد ابتدع كيما يجعل العلم غير ممكن، والحضارة مستحيلة، والنبيل البشري.

الكاهن يبسط سلطته عبر بدعة الخطيئة.

50.

لدى الوصول إلى هذه النقطة لن أدع إبداء تحليل نفسي للإيمان" وللمؤمنين، فيه منفعة واضحة، بالتأكيد، للمؤمنين.

إمّا لم يكن اليوم قلة أولئك الذين لا يعرفون إلى أي حد من شين تبلغ الكينونة "مؤمن"، أو كيف أن ذلك علامة انحطاط ونقص في إرادة الحياة، فلسوف يُعرف غداً.

إن صوتي ليصل كذلك إلى تلك الأسماع الثقيلة: يظهر — إما لم أكن قد سمعت بشكل رديء — أنه يوجد بين المسيحيين نوع من معيار للحق، يُدعى "اختبار القوة": ((الإيمان يجعلنا سعداء ومن ثم فهو حقيقي)).

قبل كل شيء يمكن هنا الاعتراض بأن هذه السعادة غير مثبتة مؤكداً، وإنما هي لا تعدو كونها وعداً: الغبطة السرمدية ترتبط بظروف الإيمان — يجب أن تُترك السعادة إما وجد الإيمان.. لكن!

أي شيء يبرهن أنه سيحدث بالفعل ما يُعد به الكاهن المؤمن، في الآخرة العسية على كل تثبت؟! والزعم "اختبار القوة وإثباتها" ليس إذا بدوره غير اعتقاد بأن ما ينتظره المرء من الإيمان لن يلبث أن يقدم نفسه.

في صيغة مناسبة: "في عقيدتي أن الإيمان يهب الغبطة المطوبة للإنسان، وبالتالي هو حقيقي".

إنما بهذا نكون قد وصلنا إلى النهاية.. هذه الـ "بالتالي" تجعل الباطل المحال نفسه مأخوذاً كمعيار للحق.

فلنفترض — مع ذلك، ومع شيء من التساهل — ثبوتية أن الإيمان يضمن السعادة — لا فقط تطلعاً، لا فقط وعداً من الشفاء المريسة للكاهن —: أفنكون الغبطة مرةً — ولأتكلم بشكل أكثر تقنيةً — أكون السرور برهاناً على الحقائق؟

ليس هو كذلك بل لعله إثبات للعكس، وفي كل حالة يُعطى الانطباع بالشك الأكثر توجساً تجاه الحقيقة، عندما مشاعر السرور تبادر إلى الكلام متسائلة: "ما هي الحقيقة؟" إن ما يثبت السرور هو إثبات للسرور، فقط لا أكثر.

على أي أساس يمكن أن يُستنتج التأكيد بأن تلك الأحكام الحقّة تسبب سروراً أكبر مما تسببه تلك الزائفة وأنها، تبعاً لتوافق متناغم مقدّر مسبقاً⁽¹⁾، تحمل معها حتماً مشاعر مسرّة؟ إن تجربة كل النفوس الصارمة والعميقة تشير إلى العكس.

في الصراع لأجل الحق، يجب أن يُنتزع بعزم وافر كل شبر، ويجب أن نكرس من أجله تقريباً كل ما هو ممنوع لقلوبنا، لحبنا، وداعماً لنقتنا في الحياة. لأجل هذا تقتضي عظمة النفس، إذ خدمة الحقيقة هي الخدمة الأكثر مشقة.

ماذا يعني الصنير إلى النزاهة في أمور الروح؟ يعني أن نكون صارمين مع قلوبنا محتقرين "للمشاعر الجميلة"، وأنه في كل إثبات ونفي (نعم، لا) تقوم حالة من حالات الضمير⁽²⁾.

(1) مفهوم لدى ليننتر لشرح العلاقة بين الجسد والروح [12]

(2) يجدر الالتفات إلى المعنى الأوسع في الإنكليزية لكلمة Conscience والإسبانية consciencia إذ تعني الإدراك الواعي لا محض "الضمير" بما يحمل في تعبيره العربي من طبيعة مضمرة وبما هو جبهة أصلية! وكأنه "صوت الله فينا!!" نيتشه يصحح هذا الفهم اللاحق.

الإيمان يجعلنا سعداء، وعليه، فإنه يكذب.

51.

كون أن الإيمان في ظروف معينة يَهَبُ الإنسان غبطة، وأن الغبطة حتى الآن مع ذلك لم تجعل من فكرة ثابتة فكرة حقة، وأن الإيمان لا يحرك الجبال وإنما يقيم جبلاً حيث لا يوجد جبال: ما هو كفاية حول هذا تكشفه لنا جولة في مأوى المجانين.

وهذا بالتأكيد لا يُقْنِعُ الكاهن: لأنه يرفض بالغريزة أن المرض مرض ومأوى المجانين مأوى مجانين.

المسيحية تحتاج إلى المرض بمقدار ما يحتاج أولئك الأغارقة إلى وافر الصحة.. والإمراض هو المقصد الخفي الحقيقي لكل نظام المعالجة الخاص بالكنيسة.

والكنيسة نفسها؟! أليست أنها مأوى المجانين الكاثوليك، الغاية في المثال؟ وكذلك العالم في اعتبارات عامة كمأوى للمجانين؟ إن الإنسان المتدين — كما تريده الكنيسة — منحط نموذجي؛ وفي كل زمن، تتحكم فيه بشعب أزمة دينية، فإنه

يتميز بجائحة عصبية؛ و((العالم الداخلي)) للإنسان المتدين يظهر مشابهاً للعالم الداخلي للمتهيجين بزيادة والمنهكين، وحتى لا يتمايز عنه.

تلك الحالات السامية للروح التي تموضعها المسيحية فوق البشرية كقيمة القيم هي حالات صرعية.. وإنها لتكرس في كلية شرف الله حصراً المجانين أو كبار المحتالين.

لقد سمحتُ لنفسي في إحدى المناسبات أن ألْقَ كلَّ التدريب المسيحي للتوبة والخلاص (والذي هو مدروس اليوم خصوصاً في إنجلترا) كجنون دوري [Foliecirculaire]⁽¹⁾ متحصل منهجياً — كما هو مفترض وواضح — فوق أرضية معدة لأجله، وهذا يعني: ممرضة بالكلية.

ليس من أحد حراً في صيرورة مسيحياً.. والمرء لا يُهدى إلى المسيحية: يجب أن يكون مريضاً بما فيه الكفاية لأجلها.

نحن الآخريين الذين يمتلكون الشجاعة الكافية ليكونوا أصحاء ومحتقرين: بأي عمق علينا أن نحقر ديناً علم أن ينظر إلى الجسد بسوء!.. ولم يرد أن يتخلص من خرافات النفس المتطيرة!.. والذي يعدّ نقص التغذية جدارة وفضلاً!.. والذي

⁽¹⁾ في شذرة من عام 1888 كتب نيتشه: "الهوس الديني يظهر عادة في

شكل جنون دوري بحالتين متناقضتين: الانكماش المنحط، والاندفاع." [P]

يحارب في الصحة شكلاً من عدو، من شيطان، من غواية!.. والذي يتصور باقتناع أنه من الممكن حمل روح كاملة في جسد هو جثة، والذي لأجل هذه الغاية قد وجب عليه أن يشكل مفهوماً جديداً للكمال: مخلوقاً شاحباً، مرضياً، متعصباً بجهالة، مدعواً "القداسة".. القداسة التي هي نفسها ليست أكثر من سلسلة علامات عن الجسد المضنى، المفقر، المتعفن إلى درجة لا يمكن معها الشفاء!

الحركة المسيحية كحركة أوروبية، هي مقدماً ومن أساسها، حركة لعناصر الحثالة والحقارة من كل صنف، والتي تريد امتلاك القدرة من خلال المسيحية.

إنها لا تعبر عن انحطاط جنس، وإنما هي كتلة مختلطة من أشكال شتى للانحطاط، ومن كل مكان تتفرى وتراكم.

ما جعل المسيحية شيئاً ممكناً ليس انحلال وفساد القديم، القديم الأرستقراطي؛ فأبداً ليست تناقض وتنتقد بصلابة كافية الجهالة المتفككة التي تدعم حتى اليوم وجهة نظر كهذه.

- ففي الفترة التي فيها نصرت الطبقات السقيمة والمتعفة من الحثالة [Chandala] في كل الإمبراطورية⁽¹⁾، صودف بكل

(1) imperium باللاتينية في الأصل

جلاء النمط المعاكس، الأرستقراطية، في شكلها الأكثر جمالاً ونضجاً.

العدد الأكبر توصل ليصير سيّداً، وديمقراطية الغرائز المسيحية تغلبت .. المسيحية لم تكن "قومية"، ولم تكن مشروطة ومرتهنة بالجنس، فقد توجهت إلى كل صنف من المحرومين من الحياة، ولاقت في كل صقع أخلاقاً.

المسيحية تقوم على قاعدة من ضغينة⁽¹⁾ المرضى الحاقدة، الغريزة الموجهة ضد الأصحاء، وضد الصحة. [إن كل ما هو موفق، متفاخر، سام]، وفوق الكل الجمال، يجرح الأسماع والعيون.

سألفت الانتباه مرة أخرى إلى كلمات بولس التي لا تتمن:

((الذي هو تجاه العالم ضعيف.. الذي هو تجاه العالم جاهل، الذي هو غير نبيل، ومحتقر، ذاك الذي اختاره الله))

هذه كانت الصيغة، "وتحت هذه العلامة" [in hoc signo]⁽²⁾ تغلبت الحطة.

(1) rancune باللاتينية في الأصل

(2) صيغة مأخوذة من الرواية الزاعمة أن الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير 306-337 في حربه مع مكسنطيوس ظهرت له علامة صليب من نور ذا تغلب. أما يوسابيوس القيصري في الكتاب التاسع الفصل التاسع فقرة 10 و 11 فيقول إنه بعد انتصاره "وقد رأى أن معونته كانت من قبل

الله معلقاً على الصليب! أحتّى الآن لم تفهم الفكرة المربعة المختبئة وراء هذا الرمز؟! كلّ ما هو معاناة، كلّ ما هو معلق على الصليب، هو إلهي. نحن جميعاً معلقون على الصليب، وبالتالي كلنا إلهيون. ونحن فقط المؤلهون والمقدّسون..

المسيحية كانت نصراً، وبها حطمت ذهنيّة أكثر نبلاً. لقد كانت المسيحية حتّى اليوم البلية المشؤومة الأكبر ضدّ البشرية.

52.

تقوم المسيحية كذلك في مناقضة لكلّ عقلية حسنة التكوين؛ إنها فقط تستفيد من العقل المريض بوصفه عقلاً مسيحياً. ستحزّب لكلّ ما هو أبله، وترمي بلعناتها ضدّ كلّ ذي همّة ونخوة، وضدّ رفعة العزم السليم..

الله، أمر في الحال بأن يوضع في يد تمثال تنكار آلام المخلص علامة الصليب المخلص وينقش عليه: بهذه العلامة المقتدرة أنقذت مدينتكم، روما".

وبما أنّ المرض ينتمي إلى طبيعة المسيحية، فكذلك الحالة النمطية للروح المسيحية: الإيمان، فيه ما يقيم منه شكلاً من مرض؛ وكلّ تلك الطرق المستقيمة الشريفة العلمية التي تقود إلى المعرفة، هي هكذا يجب أن تكون مرفوضة من المسيحية كطرق ممنوعة..

الشكّ وقد صار خطيئة، والغياب التام للعناية بالنظافة الجسدية لدى الكاهن — ويثشي بذلك النظر — هي نتيجة للانحطاط... يلاحظ في النساء الهستيريات، ومن جهة أخرى في الأطفال الخرجين، كيف يَنْتَظِم بشكل شائع التزييف الغريزي، ولذة الكذب لأجل الكذب، وعدم القدرة على النظر والتقدم إلى الأمام، بوصفها تعابير ومظاهر عن الانحطاط.

الإيمان يعني "عدم — الرغبة" في معرفة ما هي الحقيقة. ذو النقي، الكاهن لكلا الجنسين، هو زائف لأنّه مريض: غريزته تقتضي ألاّ يسود الحق في أية نقطة: ((ما هو مريض هو خير.. ما يتأتّى عن الحق وعن وفرة وترابي العزم هو شر)) هكذا يفكر المؤمن.. انعدام الحرية تجاه الكذب هذا هو الملمح الذي يتكشف لي من خلاله أيّ لاهوتي مكرّس سلفاً.

أمر آخر غريزي عند اللاهوتي: عدم تمكنه من فقه اللغة؛ إذ بفقه اللغة، وضمن معنى عامّ جداً، يفهم فنّ القراءة الجيدة، فنّ

القدرة على قراءة الأعمال دون تزييفها عبر التأويل، ومن غير أن يُضَيِّع السعيُ الدؤوبُ إلى الفهم الغطنة والصبر والتدقيق. علم اللغة كَتَبَتْ مدقق في التأويل يُتَعامَل به الآن مع الكتب، والأنباء الصحفية، ومع التقديرات والوقائع المناخية، حتَّى لا نتكلَّم بشيء عن "خلاص النفس".

إنَّ الطريقة التي يؤوَّل بها لاهوتيّ، سواء صودف في برلين أو في روما، ((كلمة من الكتاب))، أو حادثة، وعلى سبيل المثال انتصاراً لجيش بلاده، على ضوء علويّ من مزامير داود، هي دائماً طريقة تحكيميّة، بحيث تجعل الفيلولوجي فاقد الصبر ومجنوناً.

وماذا يقال عندما أولئك النقاّة، وتلك الأبقار السوابية⁽¹⁾ يسوونُ "عيشَ اليوميّ التاعس"، وهذا المأهل المفعم بالدخان، والذي هو وجودهم، بـ (إصبع الله) جاعلين منه أعجوبة "تعمة" و"عناية إلهية"، ومعجزة "اختبار الخلاص"!!؟

إنَّ حظّاً متواضعاً من تشدّد النفس والعبقريّة، حتَّى لا نقول من اللياقة، يجب أن يُرى هؤلاء المؤولِّين الصببانيّة الكليّة في هذا الاستعمال المشين لشعوذة "إصبع الله"..

(1) حيث يقع معهد توبنجه اللاهوتي في سوابيا والمتأثر بشدّة بالحركة التقويّة.. فهو يسخر من السوابيين. راجع فقرة 10.

إمّا حُزنا قدرّاً من التقوى في الجسد، أقلّ ممّا هو عليه، فإنَّ الله الذي يداوينا من نزلة برد، والذي يجعلنا نصعد إلى العربة في اللحظة الأكيدة التي فيها يبدأ انسكاب مطر غادق، يجب أن يكون عندنا — إلهاً محالاً، وإمّا وُجِدَ يجب أن يُيَطَّل.

إله كساح، كحامل للرسائل، كبائع جوال، هو في حقيقة الأمر كلمة لتعيين النوع الأكثر حمقاً بين كلّ المصادفات.. ((العناية الإلهية)) كما يُعتَقَد بها حتَّى الآن كتلث في العبادة الألمانية، تصبح معارضةً ضدَّ الله لا يمكن إزاءها التفكير بأخرى أكثر شدّة!

وفي كلّ الأحوال هي معارضة ضدَّ الألمان!

.. 53 ..

أنَّ الشهداء يدلّون بمعاناتهم على حقيقة، هو اعتقادٌ بالغ البطلان بمقدار ما أُنِي أُميل إلى إنكار أنّه قد وجد أيّ شهيد يملك، بأيّ معنى، شيئاً يراه عبر الحقيقة..

في النبوة التي يرمي من خلالها الشهيد في وجه العالم معتقده، تتبدى دركة بالغة الانخفاض من النزاهة العقلية، وخرق إزاء مسألة الحق مما لا يحتاج دحضه إلى شهيد.

ليست الحقيقة هي مالا يملكه واحد ويملكه الآخر، إذ هكذا فقط يمكن أن يفكر حول الحقيقة، كحد أقصى، أولئك الريفيون أو الرسل — القرويون على طريقة لوثر.

ويتسع المجال للتأكيد أنه تبعاً لدرجة التشكك وشدة الارتياب المدقق في المسائل الروحية يتنامى كل مرة أكثر التواضع والتحفّظ في هذه النقطة.

الاستجابة للمعرفة حول خمسة أشياء والدفع بأيدي نحيلة وبحساسية معرفة المناقض لها ورفض البقية..

((الحقيقة)) كما يفهم هذه الكلمة كل نبي، وكل مشايخ متعصب وكل مفكر حر، وكل عالم اجتماع، وكل كهنوتي، برهان نهائي على أنه لم يجد حتى بداية له ذلك التدريب الروحي وتعليم تجاوز الذات، المعوزان لإيجاد أي مقدار من الحقيقة ولو في أقل ما يكون.

أولئك الشهداء — ونقول ذلك عرضاً — كانوا مصيبة كبيرة في التاريخ: لقد ضلّوا وغرّوا .. وإن استنتاج كل أولئك البلهاء بمن فيهم النساء والعوام، أن السبب الذي يندفع باسمه

واحد إلى التضحية بنفسه (أو ما يولد — كالمسيحية الأولى — جانحة تدفع بالناس إلى نشدان الموت) يملك أهمية في ذاته، هذا الاستنتاج يقوم عائقاً لا يوصف يحول دون النقد وروح التحليل والحذر..

الشهداء أضروا بالحقيقة.. وحتى اليوم يُحتاج فقط إلى ملاحقة بها بعض قسوة لخلق اسم مشرف لحركة متعصبة لا مبالية في ذاتها. كيف؟! أفيكون ممكناً أن التضحية لأجل قضية ما يغير قيمتها؟

خطأ يصل إلى أن يكون مشرفاً لهو خطأ يمتلك من الفتنة قدراً يجعله مغوياً.

أعتقدون أنتم أيها السادة اللاهوتيون أننا سنتيح لكم أن تكونوا شهداء بسبب من كذبتكم؟

تُنقض قضية بوضعها بعناية في الثلج، وبذات الطريقة يُنقض اللاهوتي.

وبالتأكيد على هذا قامت، في تاريخ العالم، الحماقة المتعالية لكل أولئك المضطهدين: بإعطاء مظهر مشرف لدعوى معادية، وبمنحها جاذبية الشهيد.

وحتى اليوم تتابع المرأة وقوعها على الركب أمام خطأ، بسبب أنه قد قيل لها إن أحدهم قد مات على الصليب لأجلها. أعلّ الصليب إذا حجة؟!!

لكن عن هذه الأمور كلّها ثمة واحد فقط قال الكلمة التي كانت هناك حاجة إليها عبر العصور — "زرادشت":
 ((بعلامات الدم تخطون فوق الطريق التي تسلكون، وجهالتكم تعلم أن الدم يشهد للحقّ.

لكنّ الدم هو الشاهد الأردأ للحقّ، وإنّه ليسمّم حتّى التعليم الأكثر نقاءً، مصيّرًا إياه هذياناً وتبغضاً في القلوب، وإما عبر أدهم للهب لأجل عقيدته، فماذا يبرهن هذا؟
 أكبر أهمية منه في الحقيقة، أنّ العقيدة الذاتية تندفق متقدة بلهيبها الذاتي)). (زرادشت — الجزء الثاني — فصل الكهنة).

54.

لا نكوننّ مخدوعين: النفوس العظيمة متشكّكة. "زرادشت" متشكّك..

العزيمة، والحرية المتأنيّة من القوة ومن فرط قوة النفس تتجلّى عبر الشكّية.

من لهم معتقدات من ذواتهم لا يستأهلون أن يؤخذوا في الحسبان تجاه كلّ المبادئ الأساسية للقيمة واللا قيمة. إنّ

المعتقدات هي سجون... إنّها لا ترى بعيداً بما فيه الكفاية، ولا ترى ما تحتها. لكن حتّى تستطيع أن تتكلّم عن القيمة وعدم القيمة يجب أن تتظر خمسمئة عقيدة تحتها ووراءها.
 الروح المتطلّعة إلى أشياء عظيمة وتريد أن تمتلك الوسائل للإمساك بها هي بالضرورة شكّاكة.

التحرّر من كلّ صنف من العقائد وملكة النظر بحريّة، ينسب إلى القوة.. العاطفة الأعظم، التي هي أساس واقتدار الكينونة التي تنتمي إليها، هي أكثر تميّزاً ومع ذلك أكثر استبداداً منها، إذ تحتكر كلّ ذهنيّتها وتضعها في خدمتها؛ إنها تصرف فرط التشكك المدقّق، وتعطي شجاعة إلى حدّ استخدام وسائل أنيمة؛ وفي ظروف ما تمنح قناعات.

العقيدة يمكن أن يكون أداة؛ إنّ كثيراً من الأشياء تُحصل عن طريق العقيدة.

العاطفة العظيمة تستخدم المعتقدات وتستغلّها، ولا تخضع لها إذ أنها تدرك سيادتها.

بالمقابل: الحاجة إلى الإيمان، إلى شيء مطلق، إلى إثبات ونفي؛ "الكارليليّة" إمّا شئتم مسامحتي عن هذه الكلمة، هي حاجة ذاتيّة يملئها الضعف⁽¹⁾.

(1) توماس كارليل (1881-1795) نشر في 4-1833 كتاب سيرة عقلية الضامّ لعنوايين "النعم الأبدي" و"اللا الأبدي" حيث وصف فيهما طريق

إنسان الإيمان؛ المؤمن، من أي صنف كان، هو بالضرورة تابع وغير مستقل، إنه من لا يقدر أن يوطد ذاته كفاية، أو يوجد مقاصد مستتبطة من ذاته.

المؤمن لا ينتمي إلى ذاته، فقط يمكن أن يكون أداة، ويوجب أن يكون مستخدماً، ويحتاج إلى آخر كيما يستخدمه.

غريزته تمنح الشرف الأعظم للأخلاق اللا شخصية (إنكار الذات)⁽¹⁾: كل شيء يقنعه بذلك — ذكاؤه، خبرته، عبثيته. كل شكل من إيمان هو بذاته تعبير عن هذه اللا شخصية، وتنازل عن الذات.

وإذا ما قدرنا كم أنه ضروري إيجاد منظم للعدد الأكبر⁽²⁾ من الناس، يربطهم وبقيدهم من الخارج، وكم أن الإكراه، وبمعنى أسمى، الاستعباد، هو الظرف الوحيد والنهائي الذي في ظلّه يترعرع الإنسان ذو الإرادة الواهنة وبالأخص النساء: إذّاك أيضاً يفهم الاعتقاد والإيمان.

المؤمن ذو العقيدة يملك في عقيدته عموده الفقري.

الافتداء من الفلسفة الميستوفيليسية (الشيطنانية) للتجريبية المتشككة، إلى الفلسفة المتوقدة للمثالية. [P].

(1) يستخدم نيشه تعبير Ent-selbung ويتألف من Ent التي تعطي معنى التخلي أو المعارضة لما تلحق به، selbung وتعني الخصوصية، الذات. [P].

(2) قارن مع 57.

عدم رؤية أشياء كثيرة، عدم الشعور بحافز البتّة، السلوك دائماً واحداً من جماعة، امتلاك رؤية متعنتة وحتمية تجاه كل القيم، هذا فقط يوجد ظرفاً مناسباً وهكذا نوع من الناس.

إنّما بهذا يوجد النقيض، والمقابل المعادي للإنسان الصادق الحقيقي، وللحقيقة.

ليس المؤمن حراً عموماً لامتلاك ضمير تجاه مسألة الحق أو غير الحق.. الصيرورة شريفاً مخلصاً في هذه النقطة يعني غرقه العاجل ودماره.

المحدودية الضيقة المرضية لنظريته تجعل من الإنسان المؤمن متعصباً:

"سافانارولا"، "لوثر"، "روسو"، "روبسبير"، "سان سيمون"، هم النمط المعاكس للنفس الغزومة، وللروح الحر.

لكن تلك الهيئات الكبيرة لهذه الأرواح المريضة، لهؤلاء المصاريع الفكرين، هي ما تنزل تأثيراً على الجماهير الكبيرة.

المتعصبون هم لوحات تصويرية والبشرية تؤثر رؤية الهيئات على سماع الحجج.

من حين لآخر توجد ببساطة حاجة لتغيير الأشخاص: مع الابن يحول إلى عقيدة ما كان مع الأب كذبة فقط.

أدعو كذبة عدم الرغبة في رؤية شيء مرئي، واللا-إرادة لرؤيته بالطريقة التي يرى بها: وإذا ما كانت الكذبة تتحقق تجاه شهود أو بدونهم، فإن هذا خلوة من الأهمية. الكذبة الأكثر شيوعاً تلك التي بها يكذب امرؤ على نفسه، الكذب على آخر هو نسبياً حالة استثنائية.

والآن، فهذا الرفض لرؤية ما هو مرئي، وعدم إرادة الرؤية له كما يرى، هو الطرف الأساسي المهيئ لكل الذين يشكلون — بمعنى ما — زمرة، وعصبة: رجل الزمرة يتحول ضرورة إلى كذاب.

إن المؤرخين الألمان، كمثال، مقتنعون أن روما كانت الاستبداد وأن الألمان حملوا إلى العالم روح الحرية.

فما الفرق بين هذا المعتقد وكذبة؟

أمكننا أن نندهش من أن كل المتحزبين، وحتى المؤرخين الألمان، يملكون غريزياً في أفواههم الكلمات الكبيرة الأخلاقية، ومن أن الأخلاق تحيي فقط تقريباً لأن رجل التحزب من كل صنف تملكه ضرورة إليها في كل لحظة؟

. 55 .

خطوة أخرى بعد في نفسية الاعتقاد، و"الإيمان". منذ زمن طويل قد أخذت في الحسبان إذا لم تكن المعتقدات أعداءاً أعظم خطراً على الحق من الأكاذيب [إنساني، مفرطاً في إنسانيته]⁽¹⁾.

هذه المرة أريد أن أسأل السؤال الحاسم: أوجد في النهاية تناقض بين الكذبة والعقيدة؟ كل الناس يعتقدون أنه يوجد. لكن! أي شيء لا يعتقد كل الناس!!

كل اعتقاد يمتلك تاريخه، أشكاله المسبقة، محاولاته، هفواته: إنه يتحول ليصير اعتقاداً بعد زمن طويل لم يكنه، بعد زمن أطول فيه بالكاد والجهد الجهد امتلك أن يكون له وجود. كيف؟! أليس ممكناً أنه خلال هذه الأشكال الجينية للاعتقاد تتشكل كذبة الكذبة؟

(1) انظر مثلاً الفقرة 483: "أعداء الحق: المعتقدات هي أعداء للحقيقة أكثر قدرة في المعادة من الأكاذيب".

((هذه هي عقيدتنا: وإننا لنجاهر بها العالم، نحن نحيا ونموت لأجلها.. الاحترام لكل من يملكون عقيدة)).

كلمات كهذه سمعتها حتى من أفواه المعادين للسامية.

بالمقابل أيها السادة، فإن معاد السامية ليس أكثر لياقة واحتراماً لكونه يكذب بطريقة أصلية منتظمة.

إن الكهنة الذين في هكذا أمور هم أكثر دهاءً، ويعرفون تماماً وبشكل أفضل، التعارض الكامن في مفهوم العقيدة، يعني في الكذب الممارس بشكل منهجي، وأساساً لأنه يلائم الغاية، قد ورثوا من اليهود المقدرة ليدخلوا في هذا الأمر فكرة "الله"، "إرادة الله" و"الوحي المقدس". وإن "كانط" نفسه بأوامره القطعية، صودف في الحالة ذاتها، والعقل عنده عاد عملياً:

- ثمة مسائل، تقرير ما فيها من حق أو بطلان لا يسلم قياده للمرء: كل تلك المباحث الرفيعة، كل تلك المشاكل السامية القدر تكون فوق العقل البشري... إدراك حدود العقل هذه هي فقط الفلسفة الحقيقية. لماذا يحمل الله الوحي إلى الإنسان؟ هل يفعل الله شيئاً نافلاً ولا حاجة له؟ الإنسان لا يقدر أن يعرف من نفسه ما هو خير وما هو شر. لذلك يرشده الله إلى إرادته.. مغزى أخلاقي: الكاهن لا يكذب - السؤال عما هو "حقيقي" وعما هو "لا حقيقي" لا يوجد في الأشياء التي يتحدث عنها

الكاهن.. هذه الأشياء لا تسمح حتى بالكذب.. ذلك أنه لأجل الكذب تتوجب القدرة على تقرير ما هو هنا الحق، لكن هذا بالتأكيد لا يستطيع أن يقرره الإنسان: الكاهن هو إذاً ممثل الله⁽¹⁾. هذا القياس الكهنوتي ليس، ولا بأية طريقة، يهودياً فقط أو مسيحياً:

حق الكذب والأهلية لتلقي الوحي هما خاصيتان للنوع الكهني، بمقدار ما ذاك لكهنة الانحطاط هو كذلك لكهنة الوثنية؛ (إن الوثنيين هم أولئك الذين يقولون أجل للحياة، والله عندهم كلمة لقول أجل عظيمة لكل الأشياء).

التشريع، الإرادة الإلهية، الكتاب المقدس، الوحي، هي فقط كلمات، تعين الظروف التي يحصل فيها الكاهن القدرة المستلطة، وبها يحافظ على قوته. هذه المفاهيم توجد في أساس كل التنظيمات الكهنوتية، وكل الأشكال الكهنوتية والفلسفة الكهنوتية.

الكذبة المقدسة شائعة عند "كونفوشيوس" وفي "قانون مانو"⁽²⁾ وعند "محمد" والكنيسة المسيحية، وليست تعوز "أفلاطون".

(1) كل هذه الفقرة سخريّة مرّة متعمدة تحكي مواقف "كانط".

(2) Manu shastras المشرع الهندي في المرحلة الملحمية ذو الشهرة الأسطورية الذي ينسب إليه هذا العمل والذي شكل القاعدة القوية للعديد من النظم القانونية وسلم القيم الأخلاقية.

"الحقيقة موجودة هنا" هذه الكلمات حيثما نُطِقَ بها تعني:
الكاهن يكذب.

. 56 .

في النهاية، جوهر الأمر يكمن في الغاية من الكذب.
واعترضني على وسائل المسيحية هو أن هذه بنقصها تلك
الغايات "المقدسة" فثمة فقط غايات رديئة: تسميم، افتراء، إنكار
للحياة، احتقار للجسد، حطّ وتحقير ذاتي للنفس عبر مفهوم
الخطيئة. وبمقدار سوء هذا فوسائلها سيئة وشريرة.

يعتدل في الشعور النقيض عند قراءة "قانون مانو": عمل سام
وروحى لا يمكن أن يُضاهى. والإشارة إليه سوية مع التورات
تكون خطيئة ضد الروح، وسراعاً يُحذر لماذا: لأنه يمتلك خلفية
من فلسفة حقيقية، توجد في داخله كذلك، لا أنه يهودية نتتة،
مختلطة من حاخامية "Rabinismo" وتطير مخادع؛ ولأنه
يعطي حتى أولئك النفسانيين الأكثر لطفاً شيئاً يعضونه ولا
يتركهم صفر اليدين، ودون نسيان الأساس والفرق الجذري
العميق تجاه كل صنف توراتي: الطبقات الأرستقراطية،

الفلاسفة، المحاربون هم الذين في "قانون مانو" يحكمون الشعب
ويسودونه؛ عبر كل نظم القيم الأرستقراطية، وبشعور بالكفاية،
وتأكيد للحياة، ومسرّة غالبة بالذات وبالحياة، هذا الكتاب يكون
مسرّياً بالشمس ومؤثلاً⁽¹⁾.

كل تلك الأمور التي سكبت فوقها المسيحية حطتها التي لا
يسبر لها غور، وكمثال: الإنجاب، المرأة، الزواج، تعامل هنا
في "قانون مانو" بجديّة وتوقير، بحب وثقة.

كيف يمكن أن يوضع بين أيدي النساء والأولاد كتاب يحتوي
هذه العبارة الشائنة:

((ولكن بسبب الزنا فليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحد
رجلًا.. لأنّ التزوّج أصلح من التحرق)) اكو 7: 2، 9
كيف يمكن للمرء أن يكون مسيحياً حين يجد أن أصول
سلالته قد نصرت، هذا يعني دُنت بمفهوم (الحبل الدنس)؟

⁽¹⁾ في كتابه كبار مفكري الهند ومذاهبهم يستشهد ألبرت اشغيتزر بما قاله
نيشيه أعلاه ليأخذ عليه أنه لم يفهم أن روح الإنكار هي التي تؤثر في هذه
القوانين ويتابع: "وفي كتابه إرادة القوة كتب نيشيه يقول: في قوانين مانو
يوجد نوع من السامية، أي من روح الكاهن، أسوأ مما يوجد في أي مكان
آخر". لكن نيشيه يأخذ الأمر من وجهته.

لست أعرف أبداً كتاباً يجعل المرأة أهلاً لهكذا أشياء لطيفة وكريمة، ككتاب "قانون مانو" .. فأولئك العجائز القديسون يتعاملون مع النساء بكياسة ولطف لم يُجاوزا أبداً:

((فم امرأة — يُقرأ فيه — صدر صبيّة، صلاة طفل، دخان ذبيحة، هي دائماً نقيّة)) وفي مكان آخر: ((لا يوجد ما هو أكثر نقاءً من نور الشمس، ظلّ البقرة، الهواء، الماء، النار ونفسُ صبيّة)) عبارة أخرى لعلها أيضاً كذبة مقدسة: ((كلّ الفتحات من فوق السرة هي طاهرة، كلّ الفتحات تحتها دنسة. فقط في صبيّة، جسدها بكتلته طاهر)).

57.

عدم قداسة الوسائل المسيحية يُضبط بالجزم الجليّ عندما تُقارن الغائبة المسيحية مع غائبة "قانون مانو" ويوضع تحت نور قويّ هذا التباين الأقصى للغايات.

نقد المسيحية لا يمكنه أن يتجنّب تحقير المسيحية.

قانون "كقانون مانو" مؤصل ككلّ قانون جيّد: يلخص الخبرة، الذكاء، الأخلاق الاختبارية لقرون طويلة، ينظم ويقتن ولا يخلق قطّ.

المقدّمة القياسية لتقنين من هذا النوع، هو الحكم المعرفي بأنّ الوسائل الموفّرة للسلطة الذاتية على حقيقة محصّلة ببطء وبشمن باهظ، هي في العمق مختلفة عن تلك الوسائل التي يستطيع بها إظهار تلك الحقيقة.

ليس من تشريع يتحدّث عن الفائدة، الصواب، الإفتاءات الموجودة في قانون سابق له، بتوقير: إذ بهذا الفعل، سوف يخسر اللهجة الأمرية، الـ (يجب عليك)، وما يتيح له أن يكون مطاعاً.

فالمشكلة تكمن هنا حقاً.

في نقطة معينة من تطوّر شعب فإنّ الطبقة الاجتماعية الأكثر فطنة، أي تلك التي نظرها ينفذ بعمق أكبر في الماضي والمستقبل تعلن الخبرة المجربة التي يجب — يعني يمكن — أن يعاش وفاقاً لها.

غاية هكذا طبقة جني الثمار الأكثر وفرة وغنى وكمالاً لأزمان الخبرة، وأزمان التجربة السيئة.

الذي يجب بالتالي تجنبه قبل الكل متابعة فعل الخبرة وإطالة الحالة السائلة المائعة للقيم، والفحص والاختيار، ونقد القيم إلى مالا نهاية.

ولأجل هذا يُقام سوران:

— الأول: الوحي، الذي يؤكد بأن مصدر تلك الشرائع غير بشري، وأنها غير مستقصاة وموجدة شيئاً فشيئاً وبعد سلسلة مديدة من الأخطاء، وإنما — كونها من مصدر إلهي — هي كاملة، تامة، بلا تاريخ، عطية، عجابية، وببساطة هي بلاغ.

— الثاني: التقليد، الذي هو تأكيد بأن الشريعة قد تواجدت منذ أزمان قديمة، وأن وضعها في الشك يعني اللا — تقوى، وسيكون جريمة ضد الأسلاف. لقد أسست سلطة الشريعة فوق القضيتين التاليتين: الله أعطاهما، والأسلاف عاشوها.

السبب الأعلى لهذا مسلكية يُصادف في مقصدية الرجوع — شيئاً فشيئاً — إلى وعي الحياة المعدودة قديمة وحقة (هذا يعني مظهرة بواسطة تجربة خبروية واسعة، ومغربة بشدة) بنية تحصيل التسيير الذاتي المطلق للغرائز، هذا الطرف الأولي لكل نوع من براعة وتمام في فن الحياة.

وإن ترسيخ قانون على طريقة قانون مانو يعني أن تُقدّم لشعب الكفاءة ليصبح معلماً بارعاً، ليصل إلى أن يكون تاماً،

وليطمح إلى الفن الأسمى للحياة. ((لأجل هذا يجب جعله فاقد الحس والشعور)). هذه هي الغاية لكل كذبة مقدسة.

نظام تمايز الطبقات الذي هو القانون الفائق والمسيطر، هو فقط التصديق على تنظيم طبيعي، وشرعية طبيعية من المرتبة الأولى، التي لا يملك فوقها أي افتئات متعسف وأية فكرة حديثة "آية قدرة".

في كل مجتمع سليم تُميز وتُشترط تبادلياً، ثلاثة أنماط مختلفة من الأوزان النفسية، وكل واحد من هذه يمتلك علم صحته الخاصة، ومملكته الخاصة في العمل، وشكلاً خاصاً من حساسية الكمال والبراعة. إنها الطبيعية وليس مانو التي تفرق في ذاتها بين: الرجال المسيطرين عقلياً، وأولئك المتصفين بالرجولة الجسدية، وأولئك الذين لا يملكون شيئاً لا من هذا ولا من ذاك، الأراذل. هؤلاء الآخرون هم الأكثرية الكبيرة (العدد الأكبر) بينما الأولون هم المختارون.

الطبقة العليا — والتي أدعوها "الأقلية" — كونها الآنم تملك كذلك امتيازات الأقلية، وفيها يتمثل تجسيداً للسعادة والجمال والطيبة فوق الأرض.. فقط هؤلاء الرجال ذوي الأرواح الكبيرة يملكون الإذن للجمال والجميل: وفقط فيهم الطيبة ليست ضعفاً. الجمال امتياز الرجال القلائل.. والخير امتياز.

وبالمقابل لاشيء يلقي عندهم أدنى قبول كالأساليب القبيحة، أو نظرة أنانية، أو عين لؤامة، وأدنى حتى مع ذلك الموجدة على الهيئة العامة للأشياء.

الحقد ميزة الطبقة الحقيرة [الشاندالا]، وبذات القدر الأنانية.

((العالم كامل مضبوط — هكذا تتحدث غريزة رجال الفكر أولاء، الغريزة التي تؤكد — وما هو غير كامل، المنحط أسفل منا من كل صنف، التفاوت الطبقي، ومعاناة التفاوت، الشاندالا نفسها، تشكل كلها مع ذلك جزءاً من هذا الكمال)).

إن هؤلاء الرجال ذوي الهمة، بكونهم الأكثر عزمًا، يصادفون سعادتهم هناك حيث لا يصادف الآخرون غير دمارهم: في المتاهة، في القسوة تجاه الذات، وتجاه الآخرين، وفي المحاولة. مسرتهم في الانتصار على نفوسهم، والتقصّف يتحول فيهم إلى طبيعة وإلى ضرورة، وإلى غريزة. الواجب العسير يعني لهم امتيازاً، ليتاح لهم أن يستخفوا الأحمال التي تسحق الآخرين، ويعني لهم تسليّة. والمعرفة شكلاً من تقصّف وزهد. إنهم الجنس الأكثر احتراماً بين الناس، وهذا لا ينفي كونهم الأكثر مسرة، والأكثر لطفاً.

إنهم يحكمون لا لأنهم يتقصّدون بل لأن هذه كينونتهم، وهم ليسوا أحراراً في أن يكونوا التالين.

أولئك التالون في المرتبة الثانية: هم الحراس على الحق، والمعتنون بالنظام وضمان الأمان. إنهم المحاربون النبلاء، وقبل الكل الملك المعداد صيغة عليا من المحارب، ومن القاضي، والحافظ للقانون.

التالون هم الذراع المنفذ لمن هم أكثر ذكاءً، وهم الأكثر دنواً منهم، والذين يخفون عنهم كل أقال واجبات الحكم، إنهم مرافقتهم، يدهم اليمنى، وأفضل تلامذتهم.

في كل هذا — أقول مرة أخرى — ليس ثمة شيء من صنف، أو اصطناع؛ ما هو متغير هو صناعي، والطبيعة (الطبع) حينها تتضرر. تنظّم الطبقات، والزعامة، وحدها تصوغ القانون الأعلى للحياة نفسها، والفصل بين الطبقات الثلاث ضروري لحفظ المجتمع، ليكون ممكناً قيام أفراد راقين، ووجود رقي.

عدم المساواة في الحقوق هو الشرط الأول كيما توجد حقوق على العموم. الحق هو امتياز.. وبحسب طريقة وجوده فإن كل واحد يملك امتيازاً. لا نحتقرن حقوق الأوساط. إن الحياة التي تريد أن تزداد علواً تصبح بازدياد أكثر قساوة، والبرودة تزداد، والمسؤولية تعظم. إن حضارة عالية هي هرم. فقط يمكنها أن تنهض وترتفع فوق أرضية واسعة، ممتلئة لأساس أولي أوساط

ناس أقوياء وسليمي الوطادة. إن الأعمال المكتبيّة، والتجارة، والزراعة، والعلم، والجزء الأكبر من الفن، وبكلمة الكلية التامة في الاختصاصات الفعلية، فقط تتوافق جيداً مع متوسط القدرة والرغائب، وكلّ هذا يحدو في غير محله بين الرجال الاستثنائيين، والغريزة الملائمة المختصة ستكون متعارضة مع النبالة بمقدار ما تتعارض مع الفوضوية.

ليكون المرء نافعاً عمومياً، عجلة، وظيفة، يجب توفر طبيعة مقررّة: والذي يصنع من الرجال آلات ذكيّة ليس المجتمع بل ذلك النمط من السعادة الذي بمكنة الأغلبية. فمن التوفيق والحظ الطيب عند الوسط أن يكون وسطاً. البراعة في أمر واحد، التخصص، غريزة طبيعية. وسيكون أمراً غير جدير إطلاقاً بروح عميقة النظر إلى الأواسط كمعارضة في ذاتها. إنها في طبيعتها الضرورة الأولية كي يوجد أولئك المميزون؛ وحضارة رفيعة مشروطة بالأواسط. وعندما يتعامل الرجل الفذ المميز مع الأواسط بأنامل رقيقة بأكثر مما مع ذاته أو مع أمثاله، فإنّ هذا ليس دماثة قلب وكفى، وإنما ببساطة واجبه.

من تراني أبغض بالأكثر بين العامة المحدثين، رعا ع اليوم؟ إنهم رعا ع علماء الاجتماع، رسل الشانдалا، الذين بكيّنونتهم

المحدودة يقوّضون الغريزة والسرور والشعور بالرضى عند العامل، والذين يجعلونه حسوداً ويعلمونه أن يننقم. الجور لا يوجد البتة في الحقوق المتفاوتة، وإنما في المطالبة بتساوي الحقوق. ما هو الشر؟ إنه ما قد قلته: إنه كلّ ما يتأتى عن الضعف، والحسد، والانتقام. والفوضوي والمسيحي لهما الأصل ذاته.

. 58 .

حقاً يوجد اختلاف يُبنى على الغاية من الكذب: فليس سواء أن يكذب للصون، أو يكذب للهدم. بين المسيحي والفوضوي يمكن أن ترسم موازاة كاملة. غايتهما، غريزتهما، ترمي فقط إلى التخريب.. ولإثبات هذه العبارة يتوجب فقط أن تُقرأ في التاريخ: إنه يتضمنها بوضوح مرعب — لقد انتهينا من معرفة التشريع الديني الذي يمتلك غاية "تخليد" تلك الظروف السامية التي تقوم على تنظيم المجتمع، حتى يمكن للحياة أن تزدهر.

أما المسيحية بالمقابل فقد لاقت مهمتها التبشيرية في وضع نهاية وهكذا تنظيم والتخلص منه، لأن به تزدهر الحياة.

هناك، غلة الحكمة عبر أزمان مديدة من التجارب والشكوى وجب أن تكون مستخدمة للمنفعة القصوى، والحصيلة بالغة الكبر، بالغة الغنى، بالغة الكمال، قد وجب أن تجمع. هنا، بالعكس، المحصول يُسمم من الصباح إلى المساء.. ما كان ((أكثر خلوداً من البرونز))⁽¹⁾، أي الإمبراطورية الرومانية، التنظيم الأكثر عظمة الذي قَبِضَ له أبداً أن يوجد تحت الظروف الصعبة، والذي بالمقارنة معه كل السابقين واللاحقين يُعدون شظية، وخرافة، ومحاولة، نوى قديسو القوضى أن يدمروه تحت شعار الرحمة. أولئك القديسون الفوضويون يُعدون "فعلاً رحيماً" تدمير العالم، وهذا يعني تدمير الإمبراطورية الرومانية حتى لا يبقى حجرٌ فوق حجر، حتى أن أولئك الجرمان والأجلاف الريفيين تمكنوا من أن يسيطروا عليها.

المسيحي والفوضوي: كلاهما منحط، وكلاهما غير قادر أن يعمل بطريقة أخرى سوى التفسير والحل، والتسميم، وخسف الحيوية، ومصن الدماء؛ كلاهما مع غريزة البغضاء حتى الموت

⁽¹⁾ في ختام عمل Horacio المدعو "odas" الكتاب الثالث، 30 يقول: "ها قد انتهيت من بناء نصب أكثر خلوداً من البرونز" طبعة Clásicos Exit.

لكل ما هو منتصب، مُتَشَامَخ، ويمتلك ديمومة، ولكل ما يعد الحياة بمستقبل.. لقد كانت المسيحية مصاص دماء الإمبراطورية الرومانية، وقد أفسد بين المساء والفجر العمل الواسع للرومان للفوز بأرض لأجل حضارة عظمى تمتلك الزمان. أفذلك غير مفهوم حتى الآن؟ الإمبراطورية الرومانية التي نعرفها، تاريخ المقاطعات الرومانية التي جعلنا كل مرة نعرف أكثر: أكبر عمل فني مُعجب من طراز رفيع، كانت بداية فقط، وبنائها حسب ليكون مشهوداً عبر أَلْفَيَاتٍ؛ وحتى اليوم لم يُشهد مثيل لهذا، ولا حتى فُكِّرَ بالبناء على المقياس نفسه لأجل الخلود!

هذا التنظيم كان وطيداً وراسخاً كفاية كما لأجل احتمال أباطرة سينين.

صدف الأشخاص لا يجب أن يكون لها تدخل وتأثير في هكذا أمور: هذا هو المبدأ الأول بين مبادئ كل عمارة عظيمة.

لكن هذا التنظيم لم يكن راسخاً كفاية، في مواجهة جنس الفساد الأكثر فساداً، وضد المسيحي؛ هذه الدودة الخفية فلا تُرى، في الظلمة في الضباب وفي الغموض المبهم، تتسلل مهاجمة كل الأشخاص ممتصة منهم جذهم تجاه الأمور الحقّة، وغريزتهم تجاه الوقائع. هذه الزمرة الخسيسة الجبانة، المختنة،

والمائعة الرقة، غرّبت شيئاً فشيئاً تلك "النفوس" عن تلك المباني الهائلة - تلك العناصر الطبيعية القيمة، النبيلة الرجولية التي تشعر وتحس بقضية روما كأنها قضيتها الشخصية، وجديتها الذاتية، وافتخارها الخاص.

مراوغات المنافقين، السرية الديرية، ومفاهيم معنمة كالجحيم وكالتضحية بالبريء وكالاتحاد السري في شرب الدم، وفوق الكل النار المسعرة بأناة للانتقام - انتقام الشاندا لا - هذا ما غلب روما، وهو نفس النمط الديني الذي في شكل وجود أسبق وقف مضاداً لـ "أبيقورس"⁽¹⁾. يُقرأ "لوكرتيوس" لأجل فهم ما صارعه "أبيقورس"، والذي هو "المسيحية" لا الوثنية، أعني الفساد الروحي عبر مفهوم الخطيئة، العقاب، والخلود.

"أبيقورس" صارع العبادات السردابية، وكل المسيحية الكامنة. إنكار الخلود كان في هذه الحقبة تحريراً وخلصاً حقيقياً. وقد انتصر أبيقورس. وكل روح محترم في الإمبراطورية الرومانية كان أبيقورياً.

إذًاك ظهر "بولس"... بولس الذي هو بغضاء الشاندا لا متجسدة، ومتحوّلة إلى عبقرى داهية ضد روما، ضد "العالم"؛ إنه اليهودي، اليهودي الخالد بتميز والجوال الأبدي.

(1) يرفض أبيقورس أي تدخل إلهي في شؤون الكون أو الإنسان [P]

لقد كان ما اكتشفه هو كيف يمكن بمساعدة حركة صغيرة مسيحية متعصبة، قائمة على حافة اليهودية، إشغال حريق عالمي، وكيف أنه برمز ((الله معلق على الصليب)) يمكن تجميع كل الذين هم في الأسفل، وكل الذين يكونون نوايا سرية متمردة، وكل ميراث الحركات الفوضوية في الإمبراطورية، في قوة هائلة. ((الخلاص يأتي من اليهود)) [إنجيل يوحنا 4: 22]. المسيحية صيغة تجاوز وتفوق على العبادات السردابية من كل صنف: أوزوريس، عبادات الأم الكبرى، ميثرا، كأمثلة، وتجميع اختصاري لهم. وبمعرفة هذا تقوم عبقرية "بولس"⁽¹⁾. وفي هذه النقطة كانت غريزته وثقة بحيث أنها - بعنف لا يلين ضد الحقيقة - وضعت في فم المخلص، وليس فقط في فمه، هذا

(1) أوزوريس الإله المصري الصائر إلهاً للموتى، والأم الكبرى سيبيل الفريجية التي كانت تعظم أيضاً في روما بعيداً الربيعي وتهتف الجماهير آخر يوم حاملين صوريتها في موكب نصر Nostra domina، وميثرا إله فارسي انتقلت عبادته إلى أقصى تخوم الإمبراطورية الفارسية كإله للنور، وكان كهنته يقولون بحشر الناس أمامه ليحكم فيهم. تلك الحالة المساوية لتغلغل الديانات الشرقية التي يدعوها ديورانت في الجزء الثالث من المجلد الثالث بالتأثير الشرقي الجارف، غلبت روما. وناقضت المسيحية هذه الديانات المماثلة وصار لها الغلبة، وكفى أن المسيحية أخذت توقيت ميلاد يسوع من ديانة ميثرا وهذا ما يشير نيتشه إلى نمطه في حديثه عن بولس.

المخلص المخترع من قبله، تلك الأفكار التخيلية التي خلبت أديان الشاندا لا تلك.

لقد صنع من المخلص شيئاً يمكن أن يكون مفهوماً أيضاً من كاهن لميثرا.

هذا ما كانت لحظة دمشق: لقد أدرك الحاجة إلى الإيمان بالخلود لكي يزدرى العالم، وأن مفهوم "الجحيم" سوف يتحكم بروما. وأنه مع "الآخرة" تقتل الحياة..

عدمي، مسيحي لهما قافية واحدة⁽¹⁾، لكن ليس القافية فقط، بل يسلكان الطريق نفسها.

59.

كل عمل العالم القديم كان بهذا مُبطلاً وعبثاً: لست أصادف الكلمة التي تعبر عن شعوري إزاء شيء بالغ الإرعاب كهذا. وأخذاً في الحسبان أن ذلك العمل كان عملاً مهيناً له، إذ بوعي صلب كالغرائبية، وضعت الأسس لعمل من أجل ألفيات السنين، إنما كل معنى العالم القديم قد أبطل.

⁽¹⁾ في الألمانية الكلمتان هما Nihilist و Christ. [P]

لماذا أولئك اليونان؟ لأي شيء الرومان؟ كانت كل ظروف حضارة واعية وكل المناهج العلمية هي الآن هنا، وقد قرّر الفن الأعظم الذي لا يضاهي للقراءة الجيدة. وهذا الطرف الممهد لتقليد حضاري، لوحدة العلم، العلم الطبيعي في تحالف مع الرياضيات والميكانيكا، كان موضوعاً فوق الطريق الأفضل. معنى الأعمال النهائي والأثمن بين المعاني، كانت له مدارسه وتقاليده القديمة لقرون.

هل هذا مفهوم؟ كل الجوهري للشروع في العمل قد وجد: المناهج، ويجب أن أقول ذلك عشر مرات، هي الأمر الجوهري، كذلك هي الشيء الأكثر صعوبة، والذي يجابه مضاداً له — وخلال زمن طويل — العادة والكسل.

الذي قد أحرزناه اليوم بموجب تغلب هائل وسيطرة على الذات، إذاك أننا جميعاً حتى اليوم نحمل بطريقة ما في دماننا الغرائز الرديئة المسيحية، أي النظرة الحرة إلى الواقع، اليد الحذرة، الصبر، الجدّة تجاه أصاغر الأمور، كل النزاهة في المعرفة، هذا كله كان هنا! وقد وجد منذ قرابة ألفي سنة!

وبالإضافة قد وجد اللمس والذوق الجيدين، الرفيعين. لا كترويض للدماغ! لا كنتقيف ألماني بطرق مملة! إنما كجسد، كسمّة، كغريزة، وفي كلمة: كواقع.

كله باطل!! وبين مساء وصباح، لم يبق سوى الذكرى!
يونان! رومان! نبالة الغرائز، الذوق، البحث المنهجي، عبقرية
التنظيم والإدارة، الإيمان بمستقبل الإنسان، والعزم لأجله،
التوكيد الكبير لكل الأشياء، جميع الأشياء التي تحسها الحواس
كلها، كالإمبراطورية الرومانية، النمط العظيم لا فقط كفن
محض، وإنما متحولاً إلى واقع وحقيقة وحياة، هذا كله بين
مساء وصباح بات مدفوناً لا بفعل كارثة طبيعية! وموطوءاً لا
من قبل الجرمان أو الأجلاف الآخرين! وإنما.. مفككاً بمصاص
للدماء مراوغ، كامن، غير منظور، ومفتقر إلى الدم!

لم يُغلب، فقط مستنزفاً!

الميل الخفي للانتقام والحسد الصغير تحول إلى سيد! كل ما
هو بئس، ما هو معانٍ في ذاته، ومبتلى بالشعور الرديء، كل
عالم الجيتو Gueto النفسي، بضربة صار في الأعلى!
فليقرأ فقط أي مهزوز مسيحي، مثل "سان أوغسطينس"،
مثلاً، وسيفهم ويحسن أي أناس ملوثين صاروا في الأعلى.

إننا لنخدع أنفسنا إما اعتقدنا أن قادة الحركة المسيحية قد
نقصهم الفهم: أه! كانوا حاذقين، حاذقين حتى القداسة، أولئك
المادة آباء الكنيسة! إن ما ينقصهم كان أمراً آخر شديد
الاختلاف. الطبيعة لم تكن كريمة معهم وأهملتهم، نسيت أن

تزودهم بهبة متواضعة من فطرة تستحق الاحترام، لائقة
محتشمة، ونظيفة..

الكلام فيما بيننا: ولا حتى هم رجال..

إن الإسلام لدى احتقاره المسيحية يمتلك ألف مرة الحق بأن
يفعل ذلك:

إذ الإسلام يتطلب الرجال.

60.

لقد حرمتنا المسيحية من مجاني الحضارة القديمة، وفيما بعد
حرمتنا من ثمار حضارة الإسلام.

العالم الغرائبي لحضارة العرب في إسبانيا، والذي هو في
الأساس أكثر قرباً إلينا من روما واليونان، والذي يتناسب أكثر
مع شعورنا وذوقنا، قد غمر — ولست أقول بأية أقدام — لماذا؟
لأنه صدر، لأنه دان بمولده لغرائز أرسقراطية، لغرائز

رجولية، لأنه أكد الحياة بما فيه من الغنى النادر والمهذب للحياة الأندلسية⁽¹⁾.

الصليبيون حاربوا في زمن آخر ضدّ أمر كان عليهم أن يرتّموا أمامه فوق التراب: حضارة تجاهاها حتّى قرننا التاسع عشر يبدو بالغ الفقر، بالغ التأخر. طبعاً الصليبيون تطلّعوا للقيام بتمرد: والشرق كان غنياً.

هلاً نكن غير متحيّزين؟! إذا فالصليبيون كانوا قرصنة رفيعة لا أكثر!

النبالة الألمانية، التي هي أصلاً نبالة فايكنغ، كانت في بنيتها الملائمة مع الحملات الصليبية: لقد عرفت الكنيسة تماماً كيف تربح النبالة الألمانية... النبالة الألمانية، التي كانت دائماً ما كانه السويسريون، مرتزقة الكنيسة، الخادمين دائماً لغرائزها السيئة، إنّما المأجورين جيداً.. بالتأكيد بمساعدة السيوف الجرمانية، وبالدم والشجاعة الجرمانية، أقامت الكنيسة حرباً مستميتة ضدّ كلّ نبالة موجودة فوق الأرض.

حول هذه النقطة، ثمة مقدار من الأسئلة المؤلمة.

⁽¹⁾ ما يعرفه نيتشه عن الإسلام منيعه يوليوس ويلهاوزن: بقايا الوثنية العربية 1887 وأوغست موللر: الإسلام في الشرق والغرب - برلين 1885 [P].

النبالة الألمانية لولا قليل لبقيت مغيبة من تاريخ الحضارة الراقية. ويمكن أن يُخمن السبب: المسيحية والكحول، هاتان الوسيلتان الكبيرتان للفساد.

هنا لم يكن ثمة شكوك في الاتجاه الذي يُتخذ، لا بين الإسلام والمسيحية، ولا بالأولى بين عربي ويهودي. القرار قد اتّخذ، ولا أحد هنا حرّ في اختياره. إمّا أن يكون شاندالا أولاً يكون شاندالا: ((حرب بلا هوادة على روما⁽¹⁾، سلام وصداقة مع الإسلام)) هكذا فكّر، وهكذا فعل ذلك الروح الكبير الحرّ، العبقري بين الأباطرة الألمان: "فريدريك الثاني".

كيف؟ أيكون أنّ ألمانيا عليه أن يكون أولاً عبقرية، مفكراً حرّاً، للشعور بطريقة لائقة؟ لست أفهم كيف أنّ ألمانيا يمكن أبداً أن يمتلك مشاعر مسيحية.

61.

هنا من الضروري ملامسة ذكرى هي مئة مرة أكثر إيلاًماً للألمان. إنّ الألمان قد حرموا أوروبا الحصاد الأخير الأكبر؛

⁽¹⁾ روما البابوية.

المحصول الأخير الذي أنتجته أوروبا، محصول النهضة. أفيُعرف بسهولة، إما أريد ذلك، ما كانت النهضة؟ كانت تحويلاً في القيم المسيحية، كانت محاولة مُقدّم عليها بكل الوسائل، مستعاناً لأجلها بكل الغرائز، وبكل عبقرية، لحمل القيم المعاكسة والقيم النبيلة إلى ملء غلبتها.

حتى الساعة لم يوجد ما يربو على هذه الحرب العظمى، وحتى الساعة لم توجد مسألة أكثر إلحاحاً من التي أقامتْها النهضة؛ ومشكلتي هي مشكلتها...

لم يوجد بالمرّة كذلك أي شكل من الهجوم أكثر عمقاً وتنظيماً، أكثر مقصداً وتوجهاً مستقيماً، أكثر صلابة غير مقيدة، فوق كل الجبهة كما ضدّ المركز.. الهجوم في المكان الحاسم، في مقرّ المسيحية نفسها، وحمل القيم النبيلة إلى العرش (عرشها)، أريد أن أقول: إعلاء تلك القيم الأرستقراطية وتعظيمها، وتطعيم تلك الغرائز والضرورات العميقة والرغائب الأساسية لمن يحتلون مقرّها، بها.

أرى أمامي إمكانية سحر وفنتة لا توصف، وتبدو لي تلك الإمكانية متألّنة بكل ارتعاشات الجمال المصفى، وفيها يقام فنٌ بالغ القداسة، بالغ شيطانية القداسة، بحيث عبثاً يُبحث عبر ألفيات السنين عن إمكانية ثانية مثل هذه.

أرى مشهداً مليئاً بالمعنى، وفي الوقت ذاته، شاذاً متناقضاً بطريقة غرائبية، بحيث كلّ ألّهة الأولمب امتلكت دافعاً لتنفجر في قهقهة خالدة: قيصر بورجيا Cesar Borgia بابا!

هل أنا مفهوم؟ حسنٌ إذا.. هذا كان الانتصار الذي أرغب فيه وحده اليوم: وبه بقيت المسيحية مغلوبة ومتجاوزة. ماذا حصل؟! راهبٌ ألماني يدعى لوثر، ذهب إلى روما، هذا الراهب، الذي يحمل في جسده كلّ غرائز الانتقام لكاهن مصاب بالحوادث ومخيّب، ثار في روما ضدّ النهضة... وبدلاً من التفهم، مع الشكر العميق، للحوادث الهائلة التي وقعت، ولتجاوز المسيحية في مقرّها، فإنّ كراهيته وبغضه استخرجت فقط من هذا المشهد غذاءها الخاص.. رجل ديني، فقط يفكر في نفسه.. رأى لوثر فساد البابوية، بينما المقابل كان بالتأكيد في متناول اليد:

إذ الفساد القديم، والخطيئة الأصلية [Peccatum original]، والمسيحية، لم تعد بعد متربعة على العرش البابوي! إنما الحياة والانتصار للحياة، والقول بالإيجاب لكل الأشياء الرفيعة والجميلة والمقدّامة.

ولوثر.. أصلح الكنيسة مجدداً: أي هاجمها؛ والنهضة! واقعة بلا معنى وجهد باطل! آه من هؤلاء الألمان كم أثقلوا

علينا! جعل كل شيء باطلاً، هذا كان دائماً دأب الألمان. الإصلاح، "ليبنز" "كانط" وما يدعى فلسفة ألمانية، ومعارك التحرر⁽¹⁾ والرايخ كل مرة تُبطل شيئاً قد تحقق وأمرأ لا يمكن الرجوع عنه.

أولئك الألمان هم أعدائي، وأنا أجاهر بذلك: أحقر فيهم كل شكل من قذارة المفاهيم والقيم، وكونها غير نظيفة، كل شكل من جبن تجاه كل نعم مشرقة أو لا.

خلال ما يقرب من ألف سنة شوشوا كل ما لمستهم أيديهم. وما يملكون في ضمائرهم غير أنصاف التشكيلات، ولا حتى، بل كل نقص وثلاثة أجزاء من ثمانية، كل تلك الأشياء التي منها أوروبا مريضة.

كذلك هم آثمون من النوع الأكثر وساخة في المسيحية مما قد وجد، الأكثر عدم قابلية للشفاء والذي لا يُرد: البروتستانتية.

إذا لم يتم التخلص من المسيحية، فإن الألمان سيحملون الخطيئة.

(1) هي معارك الاستقلال التي جرت في ألمانيا بين 1813 و1815 للتحرر من السيطرة النابوليونية [P].

62.

بهذا أكون قد وصلت إلى النهاية فأعبر عن حكمي. أنا أدین المسيحية وأرفع ضد الكنيسة المسيحية الاتهامات الأكثر ترويعاً التي قيض لمتهم أبداً أن يحملها في فمه. إنها عندي الفساد الأكبر بين كل ما يمكن تخيله من فساد، إنها قد ملكت إرادة الوصول إلى الغاية الأخيرة الممكنة من الفساد.

الكنيسة المسيحية لم تدع شيئاً دون أن تلمسه بفسادها، كل قيمة حولتها إلى لا قيمة، وكل حقيقة إلى كذب، وكل أمر مشرف إلى حطة للروح. أفيتجاسر أحد مع ذلك ويكلمني عن بركاتها "الإنسانية".

تجاوز أي بؤس هو أمر مضاد لمصلحتها الأبعد غوراً: لقد عاشت على حالة الحاجة والبؤس، وخلقت البؤس لتكون مؤبدة.. وكمثال، دودة الخطيئة: الكنيسة بهذه النكبة أغنت البشرية!!

((المساواة بين النفوس تجاه الله)) هذا الزيف، هذه الحجة التي هي حجة الضاعنين الأكثر حطة، هذا المفهوم البالغ الانفجارية الذي قد تحول أخيراً إلى ثورة، والفكرة الحديثة

والأساسية للانحطاط في كل النظام الاجتماعي، هي ديناميت مسيحي.

البركات "الإنسانية" للمسيحية! هذا عمل من "الإنسانية" تتناقضاً ذاتياً، وفن احتقار ذاتي، وإرادة تكذيب آية قيمة، وتحقيراً ونفوراً ضد كل الدوافع الجيدة والشريفة.

هذه هي عندي بركات المسيحية!

التطفل هو الممارسة العملية الوحيدة للكنيسة! الكنيسة بأفكارها ذات السرقان وفقر الدم والقداسة، التي تنغب حتى الأخير كل دم، كل أمل، وكل محبة في الحياة، والآخر كإرادة إنكار للواقع؛ والصلب كعلامة تعريف للمؤامرة الأكثر ديماسية على غرار لم يوجد مثيله قط: تضاد الصحة والجمال والإتقان، والإقدام، والهمة، وكرم النفس؛ تضاد الحياة ذاتها.

هذا الاتهام الأبدي ضد المسيحية أريد أن أكتبه فوق كل الجدران، حيث توجد جدران؛ فأنا أملك حروفاً مرئية حتى من العميان.

إنني أدعو المسيحية اللعنة الكبيرة الوحيدة، الشذوذ الباطني الأكبر والوحيد، والغريزة الأكثر تفرّداً للانتقام، الذي لأجله ليس ثمة أداة سامة كافية، خفية، سردياتية، لنيمة، مثلها.

إنني أدعوها اللطخة الأبديّة فوق البشرية.

يُحسب الزمن انطلاقاً منذ يوم النحس الذي به بدأ ذلك الشؤم؛ منذ اليوم الأول للمسيحية. لماذا، وهو الأفضل، لا يحسب منذ آخر يوم لها؟ أيكون منذ اليوم؟ التحويل في جميع القيم!.

تشريع ضد المسيحية⁽¹⁾

أعطي في يوم الخلاص، في اليوم الأول للعام واحد (30)
سبتمبر من عام 1888 من التقويم الزائف)
حرباً حتى الموت ضد الرذيلة، والرذيلة هي المسيحية.
البند الأول: رذيل كل نوع ضد الطبيعة؛ النوع الأكثر رذيلة
بين البشر هو الكاهن، إنه يعظ بمضادة الطبيعة. وضد الكاهن
لا يُعامل بالحقوق، بل بالسجن.

(1) مقدمة شفق الأوثان يذيلها نيتشه هكذا: "تورينو 30 سبتمبر 1888 اليوم
الذي تم فيه الكتاب الأول من قلب جميع القيم". إنه ذات اليوم المذكور هنا.
ونفس العبارة في نهاية هذا الكتاب أنفاً: "قلب جميع القيم". إنها فترة
محمومة الاندفاع كتب فيها نيتشه كتب حملته النهائية على المسيحية.
خريف وشتاء 1888 في تورينو. انهار في يناير 1889 وتوفي 1900.

البند الثاني: كل مشاركة في خدمة إلهية هو تعد على الأخلاق العامة. يتوجب التشدد والقسوة ضد البروتستانتين أكثر مما ضد الكاثوليكين. فما في الكينونة مسيحياً من جنوح جرمي ينمو بمقدار الدنو من العلم. أكثر الجانحين جرماً، بهذا، هو الفيلسوف.

البند الثالث: المكان اللعين، حيث حضنت المسيحية بيوض الأفاعي ذات النظرات المميّة سيكون مدمراً ومُسوّى بالأرض؛ وكمكان دنس في الأرض، سيكون فزعا للألسال الآتية كلها، وسيكون ثمة أفاع سامة تربو فوقه.

البند الرابع: الوعظ بالعفة هو تحريض عمومي لمضادة الطبيعة. كل احتقار للحياة الجنسية، كل تدنيس مضاد للذات عبر مفهوم "اللائقي" "الدنس" هو خطيئة أصلية ضد الروح المقدس للحياة.

البند الخامس: تناول الطعام فوق مائدة واحدة مع كاهن يسبب الطرد: معه سيحرم المرء نفسه من المجتمع الشريف. الكاهن هو طبقتنا المنحطة "الشاندالا" ويجب أن يكون مُبعداً محظوراً، ميتاً من الجوع، منفياً إلى أي قفر كان.

البند السادس: التاريخ "المقدس" يجب أن يلقب بالاسم الذي يستحقه: تاريخ ملعون.

وكلمة "الله"، "المخلص"، "الفادي"، "قديس" تستعمل كسبّة، كتمييز للمجرمين.

البند السابع: البقية تستنبط من هنا.

"الأنتي كريستو"